سورة الطارق

[١٠٠٨] أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾[1] قال: نزلت في أبي الأشد كان يقوم على الأديم فيقول: يا معشر قريش من أزالني عنه فله كذا ويقول: إن محمداً يزعم أن خزنة جهنم تسعة عشر فأنا أكفيكم وحدي عشرة واكفوني انتم تسعة.

* * *

[١٠٠٨] (١) سورة الطارق: الآية (٥).

(٨٦) سورة الطارق مكية وآياتها سبع عشرة

● **هذه** السورة الكريمة « سورق الطارق » من السور المكية ، وهي تعالج بعض الأمور المتعلقة بالعقيدة الإسلامية ، ومحور السورة يدور حول ترسيخ الإيمان بالبعث والنشور ، وقد أقامت البرهان الساطع والدليل القاطع على قدرة الله جل وعلا على إمكان البعث ، فإن الذي خلق الإنسان من العدم قادر على إعادته بعد موته .

● **ابتدأت** السورة الكريمة بالقسم بالسماء ذات الكواكب الساطعة ، التي تطلع ليلاً لتضيء للناس سبلهم ، ويهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ، على أن كلَّ إنسان قد وُكّل به من يحرسه ويتعهد أمره من الملائكة الأبرار ﴿ والسماء والطارق . وما أدراك ما الطارق ؟ النجمُ الثاقبُ . إنْ كلُّ نفسٍ لّمَّا عليها حافظ ﴾ .

● **ثم ساقت** الأدلة والبراهين ، على قدرة رب العالمين ، في إعادة الإنسان بعد فنائه ﴿ فلينظر الإنسان ممَّ خُلق ؟ خلق من ماءٍ دافق . يخرج من بين الصلب والترائب . إنه على رجعه لقادر ﴾ .

● **ثم أخبرت** عن كشف الأسرار ، وهتك الأستار عن الإنسان في الآخرة ، حيث لا معين له ولا نصير ﴿ يوم تبلى السرائر . فما له من قوةٍ ولا ناصر ﴾ .

● **وختمت** السورة الكريمة بالحديث عن القرآن العظيم ، معجزة

محمد الخالدة ، وحجته البالغة إلى الناس أجمعين ، وبيَّنت صدق هذا القرآن ، وأوعدت الكفرة المجرمين بالعذاب الأليم ﴿والسماء ذات الرجع . والأرض ذات الصَّدْع . إنه لقولٌ فصل . وما هو بالهزل . إنهم يكيدون كيداً . وأكيد كيداً . فمهِّلْ الكافرين أمهلهم رويداً﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الطارق[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾[١] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾[٢] ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾[٣]

قوله عز وجل: **والسماء والطارق**، إن الله جل وعلا عظّم قدر السماء في أعين الخلق لِما جعلها مَعْدِن رزقهم ومسكنَ أولي القَدْر من خلقه وهم الملائكة. وفيها خلق الجنةَ وخلقها بغير عمد تُرَى.[2] فأقسم بها لِما عظّم من شأنها وجعل مصالح الأغذية بزينتها[3] وهي الشمس والقمر.

وأقسم بالنجم الثاقب وهو المتلألئ من النجوم المضيء، أو الذي[4] يَثقُب الشيطانَ أو يُحرقه؛[5] ولما فيها أيضا من عظم البركات. فمن بركاتها[6] أنها جُعلت بحيث يُهتدى بها في البر والبحر، ويوصل بها إلى لطائف[7] التدبير إلى أنْ ظنّ بعض الناس أن الأنجم السبعة هي المدبِّرات. وبها ما مُنع الشياطين عن الصعود إلى السماء لِيُنَقَّى[8] بها التلبيس عن الوحي؛ لأنهم لو لم يُحَفَظوا عنها لكانوا إذا وقفوا على أخبارها أسرعوا بحملها[9] إلى الكهنة فيؤدي ذلك إلى التلبيس. ومِن عِظَم قدرها أنها تقطع[10] في الليلة الواحدة ميسرةَ ألف شهر فأقسم بها أيضا.

---

[1] ر – سورة الطارق؛ ن م: سورة والسماء والطارق؛ ث + وهي سبع وعشرة آيات مكية.

[2] جميع النسخ: يرى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٥و.

[3] ن: تزينها.

[4] جميع النسخ: والذي. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] جميع النسخ: أو يخرقه. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] ر م: وبركاتها؛ ن ث: وبركتها. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] ن: الطائف.

[8] ر م: يسعى؛ ث: لينفى.

[9] ر م: تحملها.

[10] م: يقطع.

ويجوز أن يكون هذا من الله تعالى تعليما لرسوله عليه الصلاة والسلام بأن يُقسم به دون أن يكون ذلك قسما منه تعالى؛ لأنهم[1] لم يكونوا يرتابون في ألوهيته وربوبيته[2] وصدق إخباره فيُزالَ[3] عنهم الريب بالقسم، وإنما كانوا يرتابون في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فَعَلَّمَه القسم بما ذكر ليؤكّد أمره فيحملَهم ذلك على النظر في أمره. ويجوز أن يكون القسم بعين هذه الأشياء لكونها معظّمة عند الكفرة، وليس للمسلمين أن يُقسموا لها فيما بينهم. أو يكون القسم بهذه الأشياء هو القسم بخالقها، فكأنه أمره بالقسم بخالق هذه الأشياء على الإضمار. *والله أعلم*.

[٨٩٩ظ] واختلف في تأويل **الطارق**. / فقال بعضهم: ما يجيء به الليل، يقال: طرقتُه بالليل، إذا أتيتَه. وقال الزجاج: **الطارق** هو الساكن، يقال: أطرق في الكلام مَلِيّا، إذا وقف وسكن.[4] وقال بعضهم: هو النجم يطرُق بالليل ويخفَى بالنهار، وهو النجم الثاقب ذَكَرَه تفسيرا للطارق.

﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **إن كل نفس لما عليها حافظ**، اختلف في قوله: "**إن**"، قال بعضهم: أريد به هاهنا "ما"، وقوله: **لَمَّا**، صلة في الكلام؛ فمعناه: ما من نفس عليها حافظ وإنما الحافظ على بعض دون بعض. والثاني أن يكون الحافظ على بعضٍ ما في النفس دون بعض وذلك البعض هو الذي يُظهره، فأما الذي يُخفيه فإنه لا يشهده كاتباه. ومنهم من حمل قوله تعالى: **لمّا**، على الاستثناء، فقال معناه: ما من نفس إلا عليها حافظ. قال الزجاج: حرف "لمّا" استعمل في موضع[5] الاستثناء، يقال في اللغة: أقسمتُ عليك لمّا فعلتَ كذا، أي إلا فعلتَ كذا؛[6] فإن كان معناه ما ذكروا ففيها إلزام التيقّظ والتبصّر. والنفس من طبعها إذا سُلِّط عليها من يراقبها ويحفظها احتشمت [من][7] مراقبها[8] وخافته وتكون[9] متيقظة

[1] ر ث م – لأنهم.
[2] ر: ألوهية وربوبية.
[3] ر م: فزال.
[4] *معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٥/٣١١.
[5] ث + إلا.
[6] المرجع السابق، ٥/٣١١.
[7] الزيادة من *الشرح*، ٣٣٥و.
[8] ر م: احتشمت عليه الملكان أيضا مراقبها؛ ن: احتشمت مراقبتها.
[9] ر ن م: ويكون.

فلا ترتكب[١] من الأمور إلا ما تعلم أنه لا تلحقها[٢] فيه[٣] التَبِعة من الحفّاظ. فسلِّط عليها الملكان أيضا لتكون متيقظة في كل قول وفعل فلا تُقبِلَ إلا على ما فيه نفعُ العاجل والآجل.[٤] وسمى الله تعالى الملكين كِرَامًا كَاتِبِينَ،[٥] ومن صحِب المكرَّم من الخلائق احتشم منه وتوقّى عن إتيان ما يُستحيى من مثله؛ ومن أراد أن يكتب إلى أحد كتابا لم يُثبت في كتابه شيئا يؤخذ عليه ويُذمّ به، بل يُحكِم الأمرَ ويُصلحه غايةَ ما يحتمله الوسعُ؛ فكان في ذكر الحافظ على الأنفس إلزامُ التيقظ والتبصر من الوجوه التي ذكرنا.

وقوله عز رجل: **حافظ**، قال بعضهم: يحفظ عليها رزقها حتى تستوفيَ[٦] به؛ فإن كان على هذا فالحفظ يكون لها لا عليها. وقال بعضهم: يحفظ عليها عملَها خيرَها وشرّها.

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾[٥] ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **فلينظر الإنسان مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ من ماء دافق**، فالأصل أن إمعان النظر فيما خلق منه الإنسان مما يوصل المنكرين للبعث والمنكرين للرسالة إلى القول بهما. وذلك أن النطفة التي خُلق منها الإنسان لو رُئِيَتْ موضوعة على طَبَقٍ ثم رام أحد أن يعرف وأن ينتزع منها المعنى الذي به صلح أن ينشأ منها العلقة والمضغة وخُلق منها الإنسانُ لم يُدرك. ولو اجتمعت[٧] الإنس والجن على أن يركّبوا عليها جارحة من جوارح الإنسان لم يتهيأ لهم تركيبها، أو يعرفوا المعنى الذي صلح أن ينشأ منه السمع والبصر لم يقفوا[٨] عليه. فتبين أن الذي بلغت قدرته هذا لا يخفى عليه أمرٌ ولا يُعجزه شيءٌ، وتبين لهم حكمته. وإذا عرفوا حكمته أدّاهم ذلك إلى القول بالبعث؛ لأنه لولا البعث لكان[٩] يخرج إنشاء الخلق عبثا باطلا، فيخرج عن أن يكون حكيما، ولَزِمَهم أن يصدّقوا الرسل بجميع ما أخبروهم[١٠] به.

---

[١] جميع النسخ: ولا يرتكب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٥ظ.
[٢] جميع النسخ: ما يعلم أنه لا يلحقه.
[٣] ر ث م - فيه.
[٤] جميع النسخ: فسلط عليه الملكان أيضا ليكون متيقظا في كل قول وفعل فلا يقبل إلا ما فيه نفع العاجل والآجل.
[٥] سورة الانفطار، ١١/٨٢.
[٦] جميع النسخ: يستوفي. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: ولو اجتمع. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر م: لم يوقفوا.
[٩] جميع النسخ: وإلا كان.
[١٠] ر ن: ما أخبرهم؛ ث م: ما أخبرتهم.

وفيه دلالة خلق الشيء لا من شيء، إذ لا يجوز أن يكون الإنسان بكليته من النطفة مُستجنًا؛[1] فظهر أنه لا يسع في الشيء الواحد ما لا يحصى ذلك من الأضعاف؛ ولا يجوز أن يكون ذلك عمل النطفة أيضا لأنها[2] موات لا يحتمل[3] أن تصير[4] كذلك إلا بتدبير مدبِر عليم، فيكون فيما ذكرنا إيجابُ القول بحدوث[5] العالم. ولأنها لو صارت مضغة وعلقة وخَلْقا سويا بطبعها لكانت لا تخلو[6] نطفةٌ إلا وهي تنتقل[7] إلى ما ذكرنا؛ ألا ترى أن النار لِما كان من طبعها الإحراقُ، والثلج إذ كان من طبعه التبريدُ لم يجز أن ينتقل واحد منهما عن طبعه الذي أنشئ عليه. ثم قد وجدنا نُطَفا تخلو[8] عن هذه[9] المعاني التي ذكرنا، فثبت أنها نقلت إلى ما ذكرنا بتدبير حكيم مدبِر، لا بطبعها.

ثم الأُعجوبة فيما فيه خُلق الإنسان ليست بأقلّ من الأعجوبة مما منه خلق. وذلك أن الإنسان خلق في الظلمات على ما أراد الله تعالى وصوّره كيف شاء، ولو أراد أحد أن يعلم علمَ ذلك أو يصوّر مثله في حالة العِيان لم يملك. وجُعِل ذلك المكان فيما ينمو فيه الولد ويغذو فيه خصوصا من بين سائر الأماكن. ولو أراد حكماء الإنس والجن أن يعرفوا الوجه الذي به صلح ذلك المكان للنماء والغذاء وأُعلِموا فيه فنونَ العلم لم يعرفوا. فمن تفكّر فيما ذكرنا عَلِم أنّ قدرته ذاتية لا يلحقها فناء ولا عجز، وعلم أنّ علمه ذاتي ليس بمكتسب فيُتوهَّمَ خَفاء الأمور عليه.

وقوله عز وجل: **من ماء دافق**، يعني النطفة التي يَدفُقها الرجلُ في الرحم. والدافق [معناه][10] مدفوق، أي يُدفق به، كقوله: ليل نائم، أي يُنام فيه وهَمٌّ[11] ناصب، أي يُنصَب به. وقال الزجاج: **ماءٍ دافق**، أي ذي اندفاق.[12]

---

[1] ر م: مستحسنا؛ ن ث: مستحيا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٥ظ.
[2] ر م: وأنها.
[3] ر م: لا يحتمله.
[4] جميع النسخ: أن يصير. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر: بحدث.
[6] جميع النسخ: لا يخلو.
[7] جميع النسخ: ينتقل. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: يخلو.
[9] جميع النسخ: من هذه. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] الزيادة من المرجع السابق.
[11] ر م: وهو.
[12] *معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٥/٣١١.

﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **يخرج من بين الصلب والترائب**، اختلف في تأويله. فمنهم من يقول: [من][١] بين صلب الرجل[٢] وترائب المرأة، وهي الأضلاع الثمانية: أربع عن يمينها وأربع عن يسارها. وقال بعضهم: الترائب هي الأطراف، وقال بعضهم: الترائب موضع القلادة منها، وقال بعضهم: الترائب ما دون / التراقي وفوق الصدر. ثم من الناس من صَرَف تأويلها إلى الرجل [٩٠٠و] خاصةً فقال: قوله: **من بين الصلب والترائب**، أريد به صلبُ الرجل وترائبُه، وزعم أن الماء الذي يكون الولد منه[٣] ليس مَعْدِنُه الصلب خاصة بل يجتمع من أطرافه كلها.[٤] ومن حمله على المعاني الأُخر[٥] صرف الأمر إليهما جميعا، وهو أن الماء الذي يخلق منه الولد يكون منهما جميعا. و ذَكر[٦] أبو بكر الأصم أن الصلب كناية عن الرجل، والترائب كناية عن المرأة؛ فيكون هذا اسما لهما مأخوذا عن أصل ماء يكون منهما، ألا ترى إلى قوله تعالى: وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ،[٧] الآية، فأضاف الأبناء إلى الأصلاب.

وفي إخراج الماء من بين الصلب والترائب لطفٌ من الله تعالى؛ لأنه لو اجتهد الخلائق باستخراجه من بين ما ذُكر بحِيَلهم وقُواهم ووضعِه في الرحم لم يقدروا عليه. ثم الله بلطفه وضع هذه الشهوة فيما بين الخلق، واستخرج بها الماء من بين الصلب والترائب، لا أن يكون أحد[٨] يملك إخراجها[٩] بالأسباب والحيل؛ كما وضع فيهم شهوة الأكل والشرب في كل جارحة من جوارح الأكل باللطف، لا أن يكون ذلك العملُ بالأكل والشرب خاصةً. وكذلك يرى الإنسانُ إذا سقى أصلَ شجرة ظهرت منفعة السقي في أغصانها وأوراقها وأثمارها. ولو أراد أحد أن يعرف أنه لأيّ معنى صلح أن يكون الماء بالمحل الذي ذكرنا،

---

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٣٥ظ.

[٢] ر ن م: الرجال.

[٣] م – منه.

[٤] جميع النسخ: كله. والتصحيح من المرجع السابق.

[٥] ن: الآخر.

[٦] ر ث م + وذلك.

[٧] سورة النساء، ٢٣/٤.

[٨] ن – أحد.

[٩] م – من بين ما ذكر بحيلهم وقواهم ووضعه في الرحم لم يقدروا عليه ثم الله بلطفه وضع هذه الشهوة فيما بين الخلق واستخرج بها الماء من بين الصلب والترائب لا أن يكون أحد يملك إخراجها.

وأراد أن يستخرج المعنى المجعول في الطعام من القوة التي ذكرنا لم يتدارك ذلك. فيكون فيما ذكرنا أبلغُ حجة على الثنويّة؛ لأنهم ينكرون خلق الأشياء لا عن أشياء،[1] وزعموا أنا لم نشاهد[2] كون الشيء لا من شيء، والشاهد دليل الغائب، فلزم ذلك في الذي غاب عنا. فمن قَدَر على تصوير الولد في تلك الظلمات وفي الأماكن الضيقة، وقَدَر أن يجعل في الماء والطعام المعانيَ[3] التي يعجز الخلق عن استدراكها لَقادرٌ على إنشاء الخلق لا من شيء، إذ الأعجوبة فيما ذكرنا ليست بدون الأعجوبة عن إنشاء شيء لا من شيء.

﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **إنه على رجعه لقادر**، قال بعضهم: إنه على ردّه إلى صلب[4] أبيه لَقادر، وقال بعضهم: إنه على بعثه لقادر. وهذا[5] أشبه التأويلين؛ لأن الآية في موضع الاحتجاج على الكفرة ولم يُذكَر عن أحد التنازع في نفي الردّ إلى الصلب وإنكاره حتى يدفع المنازعةَ بهذا، وكانوا أهل إنكار بالبعث فاحتجّ عليهم بابتداء الخلقة. وكذلك أكثر ما جرى به الاحتجاج في إثبات البعث في القرآن إنما احتجّ عليهم بالابتداء. وإن كان التأويل على ردّه إلى صلب أبيه فوجه الرد هو أن يرد من حالة الشيب إلى حالة الشباب،[6] ثم من حالة الكبر إلى حالة الصغر،[7] ثم إلى حالة الطفولة،[8] ثم يُردّ مضغةً ثم يردّ علقة ثم نطفة ثم تردّ[9] النطفة إلى صلب أبيه. لا أن يوصف الله تعالى بالقدرة على رده –وهو على حاله[10] نسمةً عظيمة– إلى صلب أبيه مع ضيق ذلك المكان، لأن هذا[11] محال، والله تعالى لا يوصف بالقدرة على المحال؛ وليس فيما لا يوصف بالقدرة على محال نفيُ القدرة عنه في الأزل.

---

[1] ر ث م: لا من شيء.
[2] ن: لم يشاهد.
[3] ث + الذي.
[4] ن: على صلب.
[5] ر م: هذا.
[6] ن: من حاله السبب إلى حاله الشباب.
[7] ن + ثم إلى حاله.
[8] ر م: الطفولية.
[9] جميع النسخ: يرد.
[10] ر م: على حالة.
[11] جميع النسخ: ولأن هذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٦و.

وبهذا يجاب من سأل فقال: أيقدر الله تعالى على إدخال الدنيا في بَيْضَة؟ فيقال له:[١] إن أردت إدخالها في البيضة في أن يصغّر[٢] الدنيا ويضيقها حتى يجعلها[٣] أضيق من البيضة، أو يوسّع[٤] البيضة حتى تسع[٥] فيها[٦] الدنيا فهو على ذلك قادر. وإن أردت أنه قادر على إدخالها فيها على إبقاء البيضة بحالها وإبقاء[٧] الدنيا بحالها فهذا محال، لما فيه من انقلاب البعض كُلّا والكل بعضا. فكذلك يوصف الله تعالى على رد النسمة إلى الصلب بالوجه الذي ذكرنا، لا أن يردّها على ما هي عليها إلى الصلب لما في ذلك من الإحالة.

وكذلك إذا سئلنا عن حركات أهل الجنة والسكون، هل لهما غاية؟ فنقول: لا. فإن قالوا: هل يعلم الله تعالى غايتها وعددها؟ فنقول له: يعلمها غير منقطعة لا أن يعلمها منقطعة. ولم يكن في قولنا: إنه لم يعلمه منقطعا إثباتُ جهل ولا نفيُ العلم عنه، بل الجهل إنما يتحقق إذا وصف العلم بالانقطاع فيما لا ينقطع، فكذلك ليس في نفي الوصف بالقدرة على المحال إثباتُ عجزه. *والله أعلم*.

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **يوم تبلى السرائر**، أي يُظهَر ما كان أخفِي منها. فجائز أن يكون الإظهار منصرفا إلى التي لم يطّلع عليها الملائكةُ فتكتبها[٨] عليه، فيذكّره الله تعالى تلك السرائر كيف شاء فيقرّرها عليه. أو يُنطق جوارحه بها، كقوله تعالى: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ،[٩] الآية. أو يكون إظهار القراءة ما عليه فيظهر ذلك للخلق وإن كان قد أسرّها عنهم في الدنيا. ثم سمّى ذلك ابتلاء، لأن الابتلاء هو الاختبار، وإنما يكون الابتلاء بالسؤال أو بالأمر والنهي، فسمّى ما يسأل عنه في الآخرة ابتلاء.

---

[١] ن – له.
[٢] ر ث م: في أن تصغر.
[٣] ر م: تجعلها.
[٤] م: توسع.
[٥] ن: يسع.
[٦] جميع النسخ: فيه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٦و.
[٧] ر ث م: بقاء.
[٨] جميع النسخ: فيكتبها. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ (سورة النور، ٢٤/٢٤).

﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **فماله من قوة ولا ناصر**، يحتمل وجهين. أحدهما أن ليست له قوة في كتمان ذلك على نفسه، ولا له[١] قوة نفي العذاب عن نفسه أَنْ لو كَتم؛[٢] أو ما له من قوة يمتنع بها ولا ناصرٍ يمنعه عن نزول العذاب به. ووجهه[٣] أنّ الكفار كانوا يفتخرون بقواهم وكثرة أنصارهم في الدنيا،[٤] فكانوا يظنّون أنهم لو أريدوا بالتعذيب[٥] دفعوا ذلك بأنصارهم وبما لهم

[٩٠٠ظ] من القُوَى. فيخبر الله تعالى / أنّ قواهم وكثرة أنصارهم لا تنفعهم[٦] في الآخرة ولا تدفع[٧] عنهم بأس الله تعالى، وكانوا يعبدون الأصنام لتُقرِّبهم[٨] إلى الله تعالى وتنصرهم[٩] من العذاب كما قال: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ،[١٠] فتبيّن[١١] أنها لا تغني[١٢] عنهم من الله تعالى شيئا.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **والسماء ذات الرجع**، قال أبو عبيدة: الرجع هو الماء،[١٣] أي السماءِ ذات المطر. وقال غيره: **ذاتِ الرجع**، أي تعود[١٤] في كل عام إلى ما كانت عليه في العام الذي قبله بالمطر. والرجع هو العَود. ويحتمل: **ذاتِ الرجع**، أي تتكرر[١٥] إلى[١٦] إدرار بركتها على الخلق ليستوفوا[١٧] منها.

---

[١] ر م: دلالة.
[٢] ر ث م: أو لو كنتم.
[٣] ر: ووجد.
[٤] ث م + لا ينفعهم في الآخرة.
[٥] جميع النسخ: التعذيب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٦ظ.
[٦] جميع النسخ: لا ينفعهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: ولا يدفع. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر: ليقربهم.
[٩] ر: وينصرهم.
[١٠] سورة يس، ٧٤/٣٦.
[١١] ن: فيبين.
[١٢] جميع النسخ: لا يغني. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢٩٤/٢.
[١٤] جميع النسخ: أي يعود. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٦ظ.
[١٥] جميع النسخ: يتكرر. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٦] ر ن ث – إلى.
[١٧] جميع النسخ: استوفوا. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **والأرض ذات الصدع**، قيل:[١] **ذات الصدع** بالنبات. أو **ذات**[٢] **الصدع**، أي ذات أودية وأنهار يجتمع فيها الماء فينتفع بها الخلق لسقي أراضيهم ودوابّهم. فعظَّم أمرَ السماء والأرض فأقسم بهما:[٣] إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ، يعني القرآن، وليس بِالْهَزْلِ.[٤] وفي إخراج النبات من الأرض حكمة عجيبة ولطفُ تدبير. وذلك أن النبات شيء ليّن يَنثني[٥] بأدنى مَسٍّ، ثم إنّ الله تعالى بلطفه صدع له الأرض اليابسة الصَّلْبة وأخرجه[٦] منها غير مُنْثَنٍ[٧] ولا متكسّر[٨] ليعلموا أن مدبّره حكيم فيلزمَهم به التوحيد. وجَعَل منافع الأرض متصلة بمنافع السماء،[٩] إذ الأرض إنما يتصدع للنبات إذا أصابه المطر من السماء، فيكون في ذلك إنباءٌ أيضا أن مدبّرهما واحد، ولولا ذلك وإلا لم يتصل منفعة إحداهما بالأخرى.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾[١٣] ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **إنه لقول فصل**، أي بيّن، بَيَّن فيه الحلال والحرام وما يُتقى عنه وما يؤتَى، وبيّن فيه الصواب من الخطأ، وبيّن فيه الوعدَ والوعيد. أو يكون معنى الفصل التفريق، وهو أنْ فرّق الوعد من الوعيد والحلال من الحرام والحق من الباطل، فوضع كلَّ شيء موضعه ولم يَخلُط أحدهما بالآخر. وقوله: **وما هو بالهزل**، أي باللَّعِب والباطل.

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾[١٥] ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا**، وقوله: **وأكيد كيدا**،[١٠] يحتمل وجهين. أحدهما أي أُجزيهم جزاءَ كيدهم؛ فسَمّى الجزاءَ باسم ما له الجزاء وإن لم يكن ذلك كيدا،

[١] م ث + قوله.
[٢] ن: و ذات.
[٣] ر + وقوله عز وجل؛ ن ث + وقوله.
[٤] الآيتان التاليتان من هذه السورة.
[٥] ر م ث - ينثني.
[٦] ن: وأخرج.
[٧] م ث: وأخرج غير منثني؛ ن: غير مثني.
[٨] ث: ولا مكسر.
[٩] ر ن: بمنافع السماء متصلة.
[١٠] ر - وقوله وأكيد كيدا.

كما سمّى الجزاء للسيئة سيئة مثلَها[1] وإن لم يكن الجزاء سيئة، وكما سمّى جزاء الاعتداء اعتداء وإن لم يكن الجزاء اعتداء، بقوله: فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ،[2] وقال: نَسُوا اللّٰهَ فَنَسِيَهُمْ،[3] أي[4] جزاهم جزاء النسيان، أو[5] جعلهم كالشيء المنسي الذي لا يُعبأ به، لا أن يكون منه في الحقيقة نسيان؛ فكذا سمّى جزاء الكيد كيدا لا أن يكون الجزاء كيدا.

ووجه آخر أن الكيد في الحقيقة والمكر هو أن يأخذه من وجه أَمْنِه، فيلحقَ الكائد اسمُ الذمّ لأنه أخذه من وجه لم يَشْعُر به. وهذا المعنى في الكيد الذي أضيف إلى الله تعالى غير موجود، لأن الله تعالى قد بين له الطريق الذي إذا سلكه وقع له به[6] الأمنُ من الطريق الذي إذا سلكه حلّ به البوار والهلاكُ؛ فإذا سلك هذا الطريق كان سلوكه عن عِناد منه أو عن ترك الإنصاف من نفسه فوجد ما يَكره من الكيد، لا من الكائد؛ فلم يلحقه بذلك الوصفِ المعنى المكروهُ.

ثم كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين ما ذكر[7] في آية أخرى وهو قوله تعالى: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّٰهُ.[8]

﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **فمهل الكافرين**، فمَهِّل أو أَمهِل لغتان، فكأنه يقول: **أمهلهم رويدا**، ولا تجازهم بصنيعهم، فإن الله تعالى يجازيهم بصنيعهم عن قريب، وقد فعل ذلك بما سلَّط رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بقتلهم وسَبْيِهم؛ فيكون في هذا بشارة منه لرسوله صلى الله عليه وسلم بالنصر عليهم وبغلبة إياهم. وفي ذلك [أيضا] آية رسالته، لأنه قال لهم هذا عند قلة أعوانه وضعفه. ثم إن الله تعالى كثّر أنصاره وأظهره[9] عليهم كما قال لهم، ليعلموا أنه عَلِم ذلك بالوحي. *والله الموفق بالصواب.*[10]

---

[1] يقول الله تعالى: ﴿وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلُها﴾ (سورة الشورى، ٤٠/١٢).
[2] سورة البقرة، ١٩٤/٢.
[3] سورة التوبة، ٦٧/٩.
[4] ر: أو.
[5] م: أي.
[6] ر ن ث: وقع أريد.
[7] ث – ما ذكر.
[8] سورة الأنفال، ٣٠/٨.
[9] ر ن ث: وأظهر.
[10] ر ن ث – بالصواب.

سورة الطارق

سبع عشرة آية مكية، وهي مشتملة على الترغيب في معرفة المبدأ والمعاد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾

اعلم أنه تعالى أكثر في كتابه ذكر السماء والشمس والقمر لأن أحوالها في أشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها - عجيبة، وأما الطارق فهو كل ما أتاك ليلاً سواء كان كوكبًا أو غيره، فلا يكون الطارق نهارًا، والدليل عليه قول المسلمين في دعائهم: (نعوذ بالله من طوارق الليل) وروي أنه عليه السلام: «نَهَى عَنْ أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ طُرُوقًا» والعرب تستعمل الطروق في صفة الخيال لأن تلك الحالة إنما تحصل في الأكثر في الليل، ثم إنه تعالى لما قال: ﴿وَٱلطَّارِقِ﴾ كان هذا مما لايستغني سامعه عن معرفة المراد منه، فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾ قال سفيان بن عيينة: كل شيء في القرآن (ما أدراك) فقد أخبر الرسول به، وكل شيء فيه (ما يدريك) لم يخبر به، كقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧] ثم قال: ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ أي هو طارق عظيم الشأن، رفيع القدر، وهو النجم الذي يهتدى به في ظلمات البر والبحر ويوقف به على أوقات الأمطار.

وههنا مسائل:

المسألة الأولى: إنما وصف النجم بكونه ثاقبًا لوجوه: أحدها: أنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه، كما قيل: درىء لأنه يدرؤه، أي يدفعه. وثانيها: أنه يطلع من المشرق نافذًا في الهواء كالشيء الذي يثقب الشيء. وثالثها: أنه الذي يُرى به الشيطان فيثقبه، أي ينفذ فيه ويحرقه. ورابعها: قال الفراء: ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ هو النجم المرتفع على النجوم، والعرب تقول للطائر إذا لحق ببطن السماء ارتفاعًا: قد ثقب.

المسألة الثانية: إنما وصف النجم بكونه طارقًا؛ لأنه يبدو بالليل، وقد عرفت أن ذلك يسمى طارقًا، أو لأنه يطرق الجنّي، أي يصكه.

المسألة الثالثة: اختلفوا في قوله: ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ قال بعضهم: أشير به إلى جماعة النجوم فقيل الطارق، كما قيل: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢] وقال آخرون: إنه نجم بعينه. ثم قال ابن زيد: إنه الثريا. وقال الفراء: إنه زحل؛ لأنه يثقب بنوره سمك سبع سموات، وقال آخرون: إنه الشهب التي يُرجم بها الشياطين؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠].

المسألة الرابعة: روي أن أبا طالب أتى النبي ﷺ، فأتحفه بخبز ولبن، فبينما هو جالس يأكل

إذ انحط نجم فامتلأ ماء ثم نارًا، ففزع أبو طالب وقال: أي شيء هذا؟! فقال: هذا نجم رمي به، وهو آية من آيات الله. فعجب أبو طالب، ونزلت السورة (١).

واعلم أنه تعالى لما ذكر المقسم به، أتبعه بذكر المقسم عليه: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: في قوله: ﴿لَّمَّا﴾ قراءتان: إحداهما: قراءة ابن كثير وأبي عمرو ونافع والكسائي، وهي بتخفيف الميم. والثانية: قراءة عاصم وحمزة والنخعي بتشديد الميم.

قال أبو علي الفاسي: من خفف كانت (إن) عنده المخففة من الثقيلة، واللام في ﴿لَّمَّا﴾ هي التي تدخل مع هذه المخففة لتخلصها من (إن) النافية، و(ما) صلة كالتي في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ [المؤمنون: ٤٠] وتكون ﴿إِن﴾ متلقية للقسم، كما تتلقاه مثقلة. وأما من ثقل فتكون (إن) عنده النافية، كالتي في قوله: ﴿فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٦] و ﴿لَّمَّا﴾ في معنى ألا، قال: وتستعمل ﴿لَّمَّا﴾ بمعنى ألا في موضعين أحدهما: هذا والآخر: في باب القسم، تقول: سألتك بالله لمَّا فعلت، بمعنى ألا فعلت. وروى عن الأخفش والكسائي وأبي عبيدة أنهم قالوا: لم توجد لما بمعنى ألا في كلام العرب. قال ابن عون: قرأت عند ابن سيرين لما بالتشديد، فأنكره وقال: سبحان الله، سبحان الله!! وزعم العتبي أن (لَمَّا) بمعنى ألا، مع أن الخفيفة التي تكون بمعنى ما موجودة في لغة هذيل.

المسألة الثانية: ليس في الآية بيان أن هذا الحافظ من هو، وليس فيها أيضًا بيان أن الحافظ يحفظ النفس عماذا؟ أما الأول ففيه قولان: الأول: قول بعض المفسرين: إن ذلك الحافظ هو الله تعالى. أما في التحقيق فلأن كل وجود سوى الله ممكن، وكل ممكن فإنه لا يترجح وجوده على عدمه إلا لمرجح، وينتهي ذلك إلى الواجب لذاته، فهو سبحانه القيوم الذي بحفظه وإبقائه تبقى الموجودات، ثم إنه تعالى بيَّن هذا المعنى في السموات والأرض على العموم في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١] وبيَّنه في هذه الآية في حق الإنسان على الخصوص، وحقيقة الكلام ترجع إلى أنه تعالى أقسم أن كل ما سواه فإنه ممكن الوجود محدث محتاج مخلوق مربوب، هذا إذا حملنا النفس على مطلق الذات، أما إذا حملناها على النفس المتنفسة وهي النفس الحيوانية، أمكن أن يكون المراد من كونه تعالى حافظًا لها كونه تعالى عالمًا بأحوالها وموصلاً إليها جميع منافعها ودافعًا عنها جميع مضارها.

والقول الثاني: أن ذلك الحافظ هم الملائكة، كما قال: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١] وقال: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧، ١٨] وقال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠، ١١] وقال: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

وأما البحث الثاني: وهو أنه ما الذي يحفظه هذا الحافظ؟ ففيه وجوه: أحدها: أن هؤلاء الحفظة

(١) أورده الواحدي في (أسباب النزول) (١/ ٢٩٩) وليس له إسناد.

يكتبون عليه أعماله دقيقها وجليلها حتى تخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورًا. **وثانيها:** ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ يحفظ عملها ورزقها وأجلها، فإذا استوفى الإنسان أجله ورزقه قبضه إلى ربه، وحاصله يرجع إلى وعيد الكفار وتسلية النبي ﷺ كقوله: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٨٤] ثم ينصرفون عن قريب إلى الآخرة فيجازون بما يستحقونه. **وثالثها:** ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾، يحفظها من المعاطب والمهالك فلا يصيبها إلا ما قدر الله عليها. **ورابعها:** قال الفراء: إن كل نفس لما عليها حافظ يحفظها حتى يسلمها إلى المقابر، وهذا قول الكلبي.

واعلم أنه تعالى لما أقسم على أن لكل نفس حافظًا يراقبها ويعد عليها أعمالها، فحينئذٍ يحق لكل أحد أن يجتهد ويسعى في تحصيل أهم المهمات، وقد تطابقت الشرائع والعقول على أن أهم المهمات معرفة المبدأ ومعرفة المعاد، واتفقوا على أن معرفة المبدأ مقدمة على معرفة المعاد، فلهذا السبب بدأ الله تعالى بعد ذلك بما يدل على المبدأ.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧﴾

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الدفق: صب الماء، يقال: دفقت الماء، أي صببته، وهو مدفوق، أي مصبوب، ومندفق أي منصب، ولما كان هذا الماء مدفوقًا اختلفوا في أنه لمَ وُصف بأنه دافق على وجوه: الأول: قال الزجاج: معناه ذو اندفاق، كما يقال: دارع وفارس ونابل ولابن وتامر، أي درع وفرس ونبل ولبن وتمر. وذكر الزجاج أن هذا مذهب سيبويه. **الثاني:** أنهم يسمون المفعول باسم الفاعل، قال الفراء: وأهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم، يجعلون المفعول فاعلاً إذا كان في مذهب النعت، كقوله سرٌّ كاتم، وهَمٌّ ناصب، وليل نائم، وكقوله تعالى: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٧] أي مرضية. **الثالث:** ذكر الخليل في الكتاب المنسوب إليه: دفق الماء دفقًا ودفوقًا، إذا انصب بمرة، واندفق الكوز، إذا انصب بمرة، ويقال في الطيرة عند انصباب الكوز ونحوه: دافق خير، وفي كتاب قطرب: دفق الماء يدفق، إذا انصب. **الرابع:** صاحب الماء لما كان دافقًا أطلق ذلك على الماء على سبيل المجاز.

المسألة الثانية: قرئ (الصَّلب) بفتحتين، و(الصُّلُب) بضمتين، وفيه أربع لغات: صُلْب وصَلَب وصُلُب وصالب:

المسألة الثالثة: ترائب المرأة عظام صدرها حيث تكون القلادة، وكل عظم من ذلك تريبة، وهذا قول جميع أهل اللغة، قال امرؤ القيس:

تَـرَائِبُـهَـا مَـصْـقُـولَـةٌ كَـالسَّـجَـنْـجَـلِ(١)

---

(١) تقدمت ترجمة امرئ القيس.

المسألة الرابعة: في هذه الآية قولان: أحدهما: أن الولد مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة. وقال آخرون: إنه مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل وترائبه، واحتج صاحب القول الثاني على مذهبه بوجهين الأول: أن ماء الرجل خارج من الصلب فقط، وماء المرأة خارج من الترائب فقط، وعلى هذا التقدير لا يحصل هناك ماء خارج من بين الصلب والترائب، وذلك على خلاف الآية الثاني: أنه تعالى بين أن الإنسان مخلوق ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ والذي يوصف بذلك هو ماء الرجل، ثم عطف عليه بأن وصفه بأنه يخرج، يعني هذا الدافق من بين الصلب والترائب، وذلك يدل على أن الولد مخلوق من ماء الرجل فقط أجاب: القائلون بالقول الأول عن الحجة الأولى: أنه يجوز أن يقال للشيئين المتباينين: أنه يخرج من بين هذين خير كثير، ولأن الرجل والمرأة عند اجتماعهما يصيران كالشيء الواحد، فحسن هذا اللفظ هناك، وأجابوا عن الحجة الثانية: بأن هذا من باب إطلاق اسم البعض على الكل، فلما كان أحد قسمي المني دافقًا أطلق هذا الاسم على المجموع، ثم قالوا: والذي يدل على أن الولد مخلوق من مجموع الماءين أن مني الرجل وحده صغير فلا يكفي، ولأنه روي أنه عليه السلام قال: «إِذَا غَلَبَ مَاءُ الرَّجُلِ يَكُونُ الْوَلَدُ ذَكَرًا وَيَعُودُ شبه إِلَيْهِ وَإِلَى أَقَارِبِهِ، وَإِذَا غَلَبَ مَاءُ الْمَرْأَةِ فَإِلَيْهَا وَإِلَى أَقَارِبِهَا يَعُودُ الشَّبَهُ» (١) وذلك يقتضي صحة القول الأول. واعلم أن الملحدين طعنوا في هذه الآية، فقالوا: إن كان المراد من قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ أن المني إنما ينفصل من تلك المواضع فليس الأمر كذلك، لأنه إنما يتولد من فضلة الهضم الرابع، وينفصل عن جميع أجزاء البدن حتى يأخذ من كل عضو طبيعته وخاصيته، فيصير مستعدًا لأن يتولد منه مثل تلك الأعضاء، ولذلك فإن المفرط في الجماع يستولي الضعف على جميع أعضائه، وإن كان المراد أن معظم أجزاء المني يتولد هناك فهو ضعيف، بل معظم أجزائه إنما يتربى في الدماغ، والدليل عليه أن صورته يشبه الدماغ، ولأن المكثر منه يظهر الضعف أولاً في عينيه، وإن كان المراد أن مستقر المني هناك فهو ضعيف، لأن مستقر المني هو أوعية المني، وهي عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين، وإن كان المراد أن مخرج المني هناك فهو ضعيف، لأن الحس يدل على أنه ليس كذلك الجواب: لا شك أن أعظم الأعضاء معونة في توليد المني هو الدماغ، والدماغ خليفة وهي النخاع وهو في الصلب، وله شعب كثيرة نازلة إلى مقدم البدن وهو التريبة، فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر، على أن كلامكم في كيفية تولد المني، وكيفية تولد الأعضاء من المني محض الوهم والظن الضعيف، وكلام الله تعالى أولى بالقبول.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم في كتاب (الحيض) باب (وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها) (١/ ٣٠) حديث رقم (٢٥٠) من طريق يزيد بن زريع... به والنسائي في كتاب (الطهارة) باب (الفصل بين ماء الرجل وماء المرأة) (١/ ٢٠٠) حديث رقم (٢٠٠)، وابن ماجه في كتاب (الطهار) باب (المرأة تري في منامها ما يري الرجل) (١/ ١٩٧) حديث رقم (٦٠١) من طريق عبد الأعلى... به كلاهما (يزيد بن زريع، وعبد الأعلى) عن سعيد... به.

المسألة الخامسة: قد بينا في مواضع من هذا الكتاب أن دلالة تولد الإنسان عن النطفة على وجود الصانع المختار من أظهر الدلائل، لوجوه أحدها: أن التركيبات العجيبة في بدن الإنسان أكثر، فيكون تولده عن المادة البسيطة أدل على القادر المختار وثانيها: أن اطلاع الإنسان على أحوال نفسه أكثر من اطلاعه على أحوال غيره، فلا جرم كانت هذه الدلالة أتم وثالثها: أن مشاهدة الإنسان لهذه الأحوال في أولاده وأولاد سائر الحيوانات دائمة، فكان الاستدلال به على الصانع المختار أقوى ورابعها: وهو أن الاستدلال بهذا الباب، كما أنه يدل قطعًا على وجود الصانع المختار الحكيم، فكذلك يدل قطعًا على صحة البعث والحشر والنشر، وذلك لأن حدوث الإنسان إنما كان بسبب اجتماع أجزاء كانت متفرقة في بدن الوالدين، بل في جميع العالم، فلما قدر الصانع على جمع تلك الأجزاء المتفرقة حتى خلق منها إنسانًا سويًا، وجب أن يقال: إنه بعد موته وتفرق أجزائه لا بد وأن يقدر الصانع على جمع تلك الأجزاء وجعلها خلقًا سويًا، كما كان أولاً ولهذا السر لما بين تعالى دلالته على المبدأ، فرع عليه أيضًا دلالته على صحة المعاد فقال:

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: الضمير في أنه للخالق مع أنه لم يتقدم ذكره، والسبب فيه وجهان الأول: دلالة خلق عليه، والمعنى أن ذلك الذي خلق قادر على رجعه الثاني: أنه وإن لم يتقدم ذكره لفظًا، ولكن تقدم ذكر ما يدل عليه سبحانه، وقد تقرر في بداءة العقول أن القادر على هذه التصرفات، هو الله سبحانه وتعالى، فلما كان ذلك في غاية الظهور كان كالمذكور.

المسألة الثانية: الرجع مصدر رجعت الشيء إذا رددته، والكناية في قوله على رجعه إلى أي شيء ترجع؟ فيه وجهان أولهما: وهو الأقرب أنه راجع إلى الإنسان، والمعنى أن الذي قدر على خلق الإنسان ابتداء وجب أن يقدر بعد موته على رده حيًا، وهو كقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩] وقوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] وثانيهما: أن الضمير غير عائد إلى الإنسان، ثم قال مجاهد: قادر على أن يرد الماء في الإحليل، وقال عكرمة والضحاك: على أن يرد الماء في الصلب. وروي أيضًا عن الضحاك أنه قادر على رد الإنسان ماء كما كان قبل، وقال مقاتل بن حيان: إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصبا، ومن الصبا إلى النطفة، واعلم أن القول الأول أصح، ويشهد له قوله: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ أي أنه قادر على بعثه يوم القيامة، ثم إنه سبحانه لما أقام الدليل على صحة القول بالبعث والقيامة، وصف حاله في ذلك اليوم فقال:

فقال: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾ وفيه مسائل:

المسألة الأولى: ﴿يَوْمَ﴾ منصوب برجعه ومن جعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه

إلى مخرجه من الصلب والترائب أو إلى الحالة الأولى نصب الظرف بقوله: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ﴾ أي ماله من قوة ذلك اليوم.

المسألة الثانية: ﴿تُبْلَى﴾ أي تختبر، والسرائر ما أسر في القلوب من العقائد والنيات، وما أخفى من الأعمال، وفي كيفية الابتلاء والاختبار ههنا أقوال: الأول: ما ذكره القفال معنى الاختبار ههنا أن أعمال الإنسان يوم القيامة تعرض عليه وينظر أيضًا في الصحيفة التي كتبت الملائكة فيها تفاصيل أعمالهم ليعلم أن المذكور هل هو مطابق للمكتوب، ولما كانت المحاسبة يوم القيامة واقعة على هذا الوجه جاز أن يسمى هذا المعنى ابتلاء، وهذه التسمية غير بعيدة لعباده لأنها ابتلاء وامتحان، وإن كان عالمًا بتفاصيل ما عملوه وما لم يعملوه. والوجه الثاني: أن الأفعال إنما يستحق عليها الثواب والعقاب لوجوهها، فرب فعل يكون ظاهره حسنًا وباطنه قبيحًا، وربما كان بالعكس. فاختبارها ما يعتبر بين تلك الوجوه المتعارضة من المعارضة والترجيح، حتى يظهر أن الوجه الراجح ما هو، والمرجوح ما هو. الثالث: قال أبو مسلم: بلوت يقع على إظهار الشيء ويقع على امتحانه كقوله: ﴿وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١] وقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ [البقرة: ١٥٥] ثم قال المفسرون: ﴿ٱلسَّرَآئِرُ﴾ التي تكون بين الله وبين العبد تختبر يوم القيامة حتى يظهر خبرها من سرها ومؤديها من مضيعها، وهذا معنى قول ابن عمر رضي الله عنهما: يبدي الله يوم القيامة كل سر منها، فيكون ذينًا في الوجوه وشينًا في الوجوه، يعني من أداها كان وجهه مشرقًا ومن ضيعها كان وجهه أغبر.

المسألة الثالثة: دلت الآية على أنه لا قوة للعبد ذلك اليوم، لأن قوة الإنسان إما أن تكون له لذاته أو مستفادة من غيره، فالأول منفي بقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ﴾ والثاني منفي بقوله: ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ والمعنى ماله من قوة يدفع بها عن نفسه ما حل من العذاب ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ ينصره في دفعه ولا شك أنه زجر وتحذير، ومعنى دخول من في قوله: ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ على وجه النفي لقليل ذلك وكثيره، كأنه قيل: ماله من شيء من القوة ولا أحد من الأنصار.

المسألة الرابعة: يمكن أن يتمسك بهذه الآية في نفي الشفاعة، كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨]، الجواب: ما تقدم.

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما فرغ من دليل التوحيد، والمعاد أقسم قسمًا آخر، أما قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ فنقول: قال الزجاج الرجع المطر لأنه يجيء ويتكرر. واعلم أن كلام الزجاج وسائر أئمة اللغة صريح في أن الرجع ليس اسمًا موضوعًا للمطر بل سمي رجعًا على سبيل المجاز، ولحسن هذا المجاز وجوه أحدها: قال القفال: كأنه من ترجيع الصوت وهو إعادته

ووصل الحروف به، فكذا المطر لكونه عائدًا مرة بعد أخرى سمي رجعًا وثانيها: أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ثم يرجعه إلى الأرض وثالثها: أنهم أرادوا التفاؤل فسموه رجعًا ليرجع ورابعها: أن المطر يرجع في كل عام، إذا عرفت هذا فنقول للمفسرين أقوال: أحدها: قال ابن عباس: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ أي ذات المطر يرجع لمطر بعد مطر وثانيها: رجع السماء إعطاء الخير الذي يكون من جهتها حالاً بعد حال على مرور الأزمان ترجعه رجعًا، أي تعطيه مرة بعد مرة وثالثها: قال ابن زيد: هو أنها ترد وترجع شمسها وقمرها بعد مغيبهما، والقول هو الأول، أما قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ فاعلم أن الصدع هو الشق ومنه قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣] أي يتفرقون وللمفسرين أقوال قال ابن عباس: تنشق عن النبات والأشجار، وقال مجاهد: هو الجبلان بينهما شق وطريق نافذ. كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا﴾ [الأنبياء: ٣١] وقال الليث: الصدع نبات الأرض، لأنه يصدع الأرض فتنصدع به، وعلى هذا سمي النبات صدعًا لأنه صادع للأرض، واعلم أنه سبحانه كما جعل، كيفية خلقة الحيوان دليلاً على معرفة المبدأ والمعاد، ذكر في هذا القسم كيفية خلقة النبات، فالسماء ذات الرجع كالأب، والأرض ذات الصدع كالأم وكلاهما من النعم العظام لأن نعم الدنيا موقوفة على ما ينزل من السماء من المطر متكررًا، وعلى ما ينبت من الأرض كذلك، ثم إنه تعالى أردف هذا القسم بالمقسم عليه فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾ **وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: في هذا الضمير **قولان:**

الأول: ما قال القفال وهو: أن المعنى أن ما أخبرتكم به من قدرتي على إحيائكم في اليوم الذي تبلى فيه سرائركم قول فصل وحق.

والثاني: أنه عائد إلى القرآن أي القرآن فاصل بين الحق والباطل كما قيل: له فرقان، والأول أولى لأن عود الضمير إلى المذكور السالف أولى.

المسألة الثانية: ﴿لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾ أي حكم ينفصل به الحق عن الباطل، ومنه فصل الخصومات وهو قطعها بالحكم، ويقال: هذا فصل أي قاطع للمراء والنزاع، وقال بعض المفسرين: معناه أنه جد حق لقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾ أي باللعب، والمعنى أن القرآن أنزل بالجد، ولم ينزل باللعب، ثم قال: ﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾ والمعنى أن البيان الفصل قد يذكر على سبيل الجد والاهتمام بشأنه وقد يكون على غير سبيل الجد وهذا الموضع من ذلك، ثم قال: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا﴾ وذلك الكيد على وجوه. منها بإلقاء الشبهات كقولهم: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا﴾ [الأنعام: ٢٩] ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾ [يس: ٧٨] ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥] ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] ﴿فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ [الفرقان: ٥] ومنها بالطعن فيه بكونه ساحرًا وشاعرًا ومجنونًا، ومنها بقصد قتله على ما قاله: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠] ثم قال: ﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا﴾ .

واعلم أن الكيد في حق الله تعالى محمول على وجوه: أحدها: دفعه تعالى كيد الكفرة عن محمد عليه الصلاة والسلام ويقابل ذلك الكيد بنصرته وإعلاء دينه تسمية لأحد المتقابلين باسم كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠] وقال الشاعر:

أَلاَ لاَ يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا(١)

وكقوله تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ [الحشر: ١٩] ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: ١٤٢] وثانيها: أن كيده تعالى بهم هو إمهاله إياهم على كفرهم حتى يأخذهم على غرة، ثم قال: ﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل، ثم إنه تعالى لما أمره بإمهالهم بين أن ذلك الإمهال المأمور به قليل، فقال: ﴿أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾ فكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين من الرسول عليه الصلاة والسلام والتصبر وههنا مسائل:

المسألة الأولى: قال أبو عبيدة: إن تكبير رويد رود، وأنشد:

يَمْشِي وَلاَ تُكَلِّمُ الْبَطْحَاءُ مِشْيَتَهُ كَأَنَّهُ ثَمِلٌ يمشي على ورد

أي على مهلة ورفق وتؤدة، وذكر أبو علي في باب أسماء الأفعال رويدًا زيدًا يريد أرود زيدًا، ومعناه أمهله وارفق به، قال النحويون: رويد في كلام العرب على ثلاثة أوجه أحدها: أن يكون اسمًا للأمر كقولك: رويد زيدًا تريد أرود زيد أي خله ودعه وأرفق به ولا تنصرف رويد في هذا الوجه لأنها غير متمكنة والثاني: أن يكون بمنزلة سائر المصادر فيضاف إلى ما بعده كما تضاف المصادر تقول: رويد زيد، كما تقول: ضرب زيد قال تعالى: ﴿فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤]، والثالث: أن يكون نعتًا منصوبًا كقولك: ساروا سيرًا رويدًا، ويقولون أيضًا: ساروا رويدًا، يحذفون المنعوت ويقيمون رويدًا مقامه كما يفعلون بسائر النعوت المتمكنة، ومن ذلك قول العرب: ضعه رويدًا أي وضعًا رويدًا، وتقول للرجل: يعالج الشيء الشيء رويدًا، أي علاجًا رويدًا، ويجوز في هذا الوجه أمران أحدهما: أن يكون رويدًا حالاً والثاني: أن يكون نعتًا فإن أظهرت المنعوت لم يجز أن يكون للحال، والذي في الآية هو ما ذكرنا في الوجه الثالث، لأنه يجوز أن يكون نعتًا للمصدر كأنه قيل: إمهالاً رويدًا، ويجوز أن يكون للحال أي أمهلهم غير مستعجل.

المسألة الثانية: منهم من قال: أمهلهم رويدًا إلى يوم القيامة وإنما صغر ذلك من حيث علم أن كل ما هو آت قريب، ومنهم من قال: أمهلهم رويدًا إلى يوم بدر والأول أولى، لأن الذي جرى يوم بدر وفي سائر الغزوات لا يعم الكل، وإذا حمل على أمر الآخرة عم الكل، ولا يمتنع مع ذلك أن يدخل في جملته أمر الدنيا، مما نالهم يوم بدر وغيره، وكل ذلك زجر وتحذير للقوم، وكما أنه تحذير لهم فهو ترغيب في خلاف طريقهم في الطاعات، والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) هذا البيت للشاعر عمرو بن كلثوم وقد تقدمت ترجمته.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة «الطارق»

مَكِّيَّةٌ، وهي سبع عشرة آية

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ قَسَمان: «السماء» قَسَمٌ، و«الطارِقُ» قَسَم. والطارق: النَّجم. وقد بيَّنه الله تعالى بقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾. واختُلف فيه؛ فقيل: هو زُحَل، الكوكب الذي في السماء السابعة؛ ذكره محمد بن الحسن في تفسيره، وذكر له أخباراً، الله أَعْلَمُ بصحَّتها[١].

وقال ابن زيد: إنَّه الثُّريَّا. وعنه أيضاً أنَّه زُحَل[٢]. وقاله الفرَّاء[٣].

ابن عباس: هو الجَدْي[٤]. وعنه أيضاً وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ والفرَّاء: «النجم الثاقِب»: نجمٌ في السماء السابعة، لا يسكنُها غيرُه من النجوم؛ فإذا أخذَت النجومُ أَمْكِنَتها من السماء، هبط فكان معها، ثم يرجع إلى مكانه من السماء السابعة، وهو زُحَل؛ فهو طارقٌ حين ينزل، وطارقٌ حين يصعد[٥]. وحكى الفراء[٦]: ثَقَبَ الطائرُ: إذا ارتفع وعَلاَ.

---

(١) التعريف والإعلام ص١٨٢ ، ومحمد بن الحسن هو أبو بكر النقاش.

(٢) أخرج القولين الطبري ٢٤/ ٢٩٠ .

(٣) في معاني القرآن ٣/ ٢٥٤ .

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٥ .

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٩/ ٨١ عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولم نقف عليه عن علي ﷺ والفراء.

(٦) في معاني القرآن ٣/ ٢٥٤ .

وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ قاعداً مع أبي طالب، فانحطَّ نجم، فامتلأت الأرضُ نوراً، ففزِع أبو طالب وقال: أيُّ شيءٍ هذا؟ فقال: «هذا نجمٌ رُميَ به، وهو آيةٌ من آيات الله» فعَجِبَ أبو طالب، ونزل: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾[1].

وروي عن ابن عباس أيضاً «والسماءِ والطارِقِ»: وما يَطْرُقُ فيها[2].

وعن ابن عباس وعطاء: «الثاقب»: الذي تُرْمَى به الشياطين[3].

قتادةُ: هو عامٌّ في سائر النجوم؛ لأنَّ طلوعها بليلٍ، وكلُّ مَن أتاك ليلاً فهو طارِقٌ[4]؛ قال:

ومِثْلِك حُبْلَى قد طَرَقْتُ ومُرضِعًا ... فألْهَيْتُها عن ذي تَمائمَ مُغْيلِ[5]

وقال:

ألم تَرَياني كلَّما جئتُ طارقًا ... وَجَدْتُ بها طيبًا وإنْ لم تَطَيَّبِ[6]

فالطارق: النجم، اسمُ جنسٍ، سمِّي بذلك لأنه يَطْرقُ ليلاً، ومنه الحديث: «نهى النبيُّ ﷺ أن يَطْرُقَ المسافر أهلَه ليلاً، كي تَسْتَحِدَّ المُغِيبةُ، وتَمْتَشِطَ الشَّعِثة»[7].

---

(١) ذكره البغوي ٤/ ٤٧٢ عن الكلبي، وذكره الواحدي في أسباب النزول ص٤٨٤ ، والزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٤١ ، والثعلبي كما في تخريج أحاديث الكشاف ص١٨٣ دون نسبة.

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٨٨ .

(٣) ذكره أبو الليث ٣/ ٤٦٧ عن الحسن البصري.

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٦٥ ، والطبري ٢٤/ ٢٨٩ بلفظ: ﴿وَٱلطَّارِقِ﴾ قال: ظهور النجوم، يقول: تَطْرُقك ليلاً.

(٥) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص١٢ ، وسلف عند تفسير الآية (٨٤) من سورة ص . قال الشارح: مَن نصب مثلك، فعلى قوله: طرقت، ومن خفضه فعلى معنى رُبَّ. والمغيل: المرضَع وأمه حبلى، أو المرضَع وأمه تُجامع.

(٦) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٤١ ، وسلف ١٧/ ٤٨١ .

(٧) أخرجه بنحوه أحمد (١٤١٨٤)، والبخاري (١٨٠١) و(٥٢٤٣-٥٢٤٧)، ومسلم ص١٥٢٧ ، قوله: المُغيبة، هي التي غاب عنها زوجها. شرح النووي لصحيح مسلم ١٣/ ٧١ .

والعربُ تسمِّي كلَّ قاصدٍ في الليل طارقًا. يقال: طَرَقَ فلانٌ: إذا جاء بليل. وقد طَرَقَ يَطْرُقُ طُروقًا، فهو طارق. ولابن الروميِّ:

يـا راقـدَ الـلـيـل مـسـروراً بـأوَّلـهِ إنَّ الـحـوادثَ قـد يَـطْـرُقْـنَ أسـحـارا
لا تَـفْـرَحَـنَّ بـلـيـلٍ طـابَ أوَّلُـه فـرُبَّ آخِـرِ لـيـلٍ أجَّـج الـنَّـارا(١)

وفي «الصِّحاح»: والطارق: النجمُ الذي يقال له كوكبُ الصُّبح. ومنه قولُ هند:

نـحـنُ بـنـاتُ طـارِقِ نـمـشـي عـلـى الـنـمـارقِ

أي: إنَّ أبانا في الشَّرف كالنجم المضيء(٢).

الماوَرْديُّ: وأصلُ الطَّرْق: الدَّقُّ، ومنه سمِّيت المِطْرقة، فسمِّي قاصدُ الليلِ طارقًا؛ لاحتياجه في الوصول إلى الدَّق(٣).

وقال قومٌ: إنه قد يكون نهاراً. والعربُ تقول: أتيتُك اليومَ طَرْقَتين، أي: مرَّتين. ومنه قولُه ﷺ: «أعوذُ بكَ مِن شَرِّ طَوارِقِ الليلِ والنَّهار، إلَّا طارقاً يَطْرُقُ بخيرٍ يا رحمن»(٤). وقال جرير في الطُّروق:

طَـرَقَـتْـكَ صـائـدةُ الـقـلـوبِ ولـيـس ذا حـيـن الـزيـارة فـارجِـعـي بـسـلامِ(٥)

ثم بيَّن فقال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ والثاقبُ: المضيءُ. ومنه: ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠]. يقال: ثَقَبَ يَثْقُبُ ثُقُوبًا وثَقَابةً: إذا أضاء. وثُقوبُه: ضَوْءُه.

---

(١) البيتان ليسا في ديوان ابن الرومي، والأول منهما نسبه المرزباني في معجم معجم الشعراء ص٣٧١ لمحمد بن حازم الباهلي، ونسبه الثعالبي في التمثيل والمحاضرة ص٥٣ لعدي بن زيد العبادي. وهو دون نسبة في البيان والتبيين للجاحظ ٣/ ٢٠٢ . وذكر في كتاب الحيوان ٦/ ٥٠٨ أن أبا عبد الحميد المكفوف كان يتمثل به في قصصه. وذكر البيتين دون نسبة ابن عرب شاه في فاكهة الخلفاء ص٣٩٥ .

(٢) الصحاح (طرق)، والبيت في طبقات ابن سعد ٢/ ٤٠ ، وورد ضمن حديث للزبير ﷺ في مسند البزار (٩٧٩).

(٣) النكت والعيون ٦/ ٢٤٥ .

(٤) سلف ١٦/ ١٦٧ .

(٥) النقائض ١/ ٢٧٠ ، والخزانة ٥/ ٤٣١ .

والعربُ تقول: أَثْقِبْ نارَك، أي: أَضِئْها. قال:

أذاعَ بـه فـي الـنـاسِ حـتـى كـأنـه بـعـلـيـاءَ نـارٌ أُوْقِـدَتْ بـثـقُـوبِ[1]

الثَّقوب: ما تُشْعَلُ به النارُ من دِقاق العِيدان.

وقال مجاهد: الثاقب: المتوهِّج[2].

القشيريُّ: والمُعْظَمُ على أنَّ الطارقَ والثاقبَ اسمُ جنسٍ أُرِيدَ به العُمومُ، كما ذكرنا عن مجاهد.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾ تفخيمًا لشأن هذا المُقْسَمِ به. وقال سفيان: كلُّ ما في القرآن: «وما أَدْراكَ»، فقد أَخْبَره به، وكلُّ شيء قال فيه: «وما يدريك»، لم يُخْبِره به[3].

قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤﴾

قال قتادةُ: حَفَظةٌ يحفظون عليكَ رِزقكَ وعملكَ وأَجَلك[4]. وعنه أيضاً قال: قرِينُه يَحْفظُ عليه عملَه من خيرٍ أو شرٍّ[5]. وهذا هو جوابُ القَسَم. وقيل: الجوابُ: «إِنَّه على رَجْعِهِ لقادِر» في قول الترمذيِّ محمد بنِ عليٍّ[6].

و«إنْ» مخفَّفةٌ من الثقيلة، و«ما» مؤكِّدة، أي: إنْ كلُّ نفسٍ لعليها حافظ. وقيل: المعنى: إنْ كلُّ نفسٍ إلَّا عليها حافظ[7]، يحفظُها من الآفات، حتى يُسْلِمها إلى

---

(١) البيت لأبي الأسود الدِّيلي، كما في الحيوان ٥/ ٦٠١، والأضداد لابن الأنباري ص٢١٤، والخزانة ١/ ٢٨٣.

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٩٠.

(٣) سلف ٢١/ ١٨٩.

(٤) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٩٢.

(٥) ذكر الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢٤٦، بلفظ: الملائكة يحفظون عليه عمله...

(٦) ذكر هذا القول السمين في الدر المصون ١٠/ ٧٥٢ وقال: وفيه بعد.

(٧) وهذا القول على قراءة «لمَّا» بالتشديد، والذي قبله على القراءة بالتخفيف، حيث تكون فيه «ما» زائدة مؤكدة، كما سيرد. ينظر تفسير الطبري ٢٤/ ٢٩٠، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٣١١، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٩٨، والحجة للفارسي ٦/ ٣٩٧، والوسيط ٤/ ٤٦٤-٤٦٥.

القَدَر. قال الفراء[١]: الحافظُ من الله، يحفظُها حتى يُسْلِمَها إلى المقادير. وقاله الكلبيُّ.

وقال أبو أُمامةَ: قال النبيُّ ﷺ: «وُكِّل بالمؤمن مئةٌ وستُّون مَلَكاً يذبُّون عنه ما لم يُقَدَّرْ عليه. من ذلك البصرُ، سبعةُ أملاكٍ يَذُبُّون عنه، كما يُذَبُّ عن قصعةِ العَسَلِ الذبابُ. ولو وُكِلَ العبدُ إلى نَفْسِه طَرْفةَ عينٍ لاخْتَطَفتْه الشياطين»[٢].

وقراءةُ ابنِ عامرٍ وعاصم وحمزة: «لَمَّا» بتشديد الميم[٣]، أي: ما كلُّ نفسٍ إلَّا عليها حافظٌ، وهي لغةُ هذيل؛ يقولُ قائلُهم: نَشَدْتُك لَمَّا قمتَ. الباقون بالتخفيف، على أنَّها زائدةٌ مؤكِّدة، كما ذَكَرْنا. ونظيرُ هذه الآية قولُه تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ١١] على ما تقدَّم.

وقيل: الحافظُ هو اللهُ سبحانه؛ فلولا حِفْظُه لها لم تَبْقَ.

وقيل: الحافظُ عليه عقلُه، يرشدُه إلى مصالحه، ويَكُفُّه عن مَضَارِّه[٤].

قلت: العقلُ وغيرُه وسائطُ، والحافظُ في الحقيقة هو اللهُ جلَّ وعزَّ؛ قال الله عز وجل: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ﴾ [يوسف: ٦٥]، وقال: ﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۗ﴾ [الأنبياء: ٥٢]، وما كان مثلَه.

قوله تعالى: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ أي: ابنُ آدمَ ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ وجهُ الاتِّصالِ بما قَبْلَه

(١) في معاني القرآن ٣/ ٢٥٥ .

(٢) ذكره بهذا اللفظ الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٧١١٧)، وأخرجه بنحوه الطبراني في الكبير (٧٧٠٤)، وفي إسناده عفير بن معدان، وهو ضعيف كما ذكر الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف ص١٨٣.

(٣) السبعة ص٦٧٨ ، والتيسير ص٢٢١ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ٢٤٦ .

توصيةُ الإنسان بالنظرِ في أوّل أمرِه وسُنَّته[١] الأُولى، حتى يعلمَ أنَّ مَن أنْشأه قادرٌ على إعادته وجزائه، فيعمل ليومِ الإعادةِ والجزاء، ولا يُمْلي على حافِظِه إلَّا ما يسرُّه في عاقبةِ أمرِه.

و«مِمَّ خُلِق». استفهامٌ، أي: من أيِّ شيءٍ خُلِق؟ ثم قال: ﴿خُلِقَ﴾ وهو جوابُ الاستفهام ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ أي: من المنيّ. والدَّفْقُ: صبُّ الماءِ، دَفَقْتُ الماءَ أَدْفُقُه دفقًا: صَبَبته، فهو ماءٌ دافق، أي: مدفوق، كما قالوا: سِرٌّ كاتِم، أي: مَكْتوم. لأنَّه من قولك: دُفِق الماءُ، على ما لم يُسَمَّ فاعِلُه. ولا يقال: دَفَقَ الماءُ. ويقال: دفقَ الله رُوحَه: إذا دُعي عليه بالموت[٢].

قال الفرَّاء والأخفشُ: «من ماءٍ دافِقٍ» أي: مَصْبوبٍ في الرَّحِم. الزجَّاج[٣]: من ماءٍ ذي انْدِفاقٍ. يقال: دارعٌ وفارِسٌ ونابِلٌ، أي: ذو فرسٍ، ودِرعٍ، ونبلٍ. وهذا مذهبُ سيبويه[٤]. فالدافقُ هو المندفقُ بشدَّة قوتِه. وأراد ماءين: ماءَ الرجلِ وماءَ المرأة؛ لأنَّ الإنسان مخلوقٌ منهما، لكِنْ جَعَلهما ماءً واحداً لامْتِزاجِهما.

وعن عكرمة عن ابن عباس: «دافِقٍ»: لَزِج.

﴿يَخْرُجُ﴾ أي: هذا الماءُ ﴿مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ﴾ أي: الظَّهْر. وفيه لغاتٌ أربعُ: صُلْب، وصُلُب ـ وقرئ بهما[٥] ـ وصَلَب بفتح اللَّام، وصالب على وزن قالب، ومنه قولُ العباس:

تُنْقَلُ من صالبٍ إلى رَحِمٍ[٦]

---

(١) في (ظ): ونسبته.

(٢) الصحاح (دفق). وفي تهذيب اللغة ٩/ ٣٩: وقال الليث: يقال: دَفَق الماء دفوقاً ودفقاً إذا انصبَّ، قال الأزهري: ولم أسمع دفقت الماء فدَفَق لغير الليث. وينظر العين ٥/ ١٢٠.

(٣) في معاني القرآن ٥/ ٣١١.

(٤) ينظر الكتاب ٣/ ٣٨١.

(٥) «الصُّلْب» قراءة الجمهور، و«الصُّلُب» بضمتين ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٧١ عن عيسى.

(٦) وعجزه: إذا مضى عالَمٌ بدا طَبَقٌ، وسلف ١٤/ ٨٧ و ص١٧٥ من هذا الجزء.

﴿وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ أي: الصَّدْر، الواحدةُ: تَرِيْبَة؛ وهي موضعُ القِلادةِ من الصَّدر. قال:

مُهَفْهَفَةٌ بيضاءُ غيرُ مُفاضَةٍ ... ترائبُها مَصْقولةٌ كالسَّجَنْجَلِ[1]

والصُّلْبُ من الرجل، والترائبُ من المرأة. قال ابن عباس: الترائب: موضعُ القلادة. وعنه: ما بين ثَدْيَيْها. وقاله عكرمة[2].

ورُوي عنه: يعني ترائبَ المرأة: اليدين والرجلين والعينين[3]. وبه قال الضحَّاك[4].

وقال سعيد بن جبير: هو الجِيْدُ.

مجاهد: هو ما بين المَنْكِبين والصَّدْرِ[5]. وعنه: الصَّدْر. وعنه: التراقي[6].

وعن ابن جبير عن ابن عباس: الترائب: أربعةُ أضلاعٍ من هذا الجانب[7].

وحكى الزجَّاج[8]: أنَّ الترائبَ أربعةُ أضلاعٍ من يَمنةِ الصَّدر، وأربعةُ أضلاعٍ من يَسْرةِ الصَّدر.

وقال معمر بن أبي حبيبة المَدَنيُّ: الترائبُ: عُصارةُ القلبِ، ومنها يكونُ الولد[9].

---

(١) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص١٥ . قال النحاس في شرح المعلقات ١/ ٢٣ : المهفهفة: الحسنة الخَلْقِ، ولا تكون مهفهفةً حتى تكون مع حُسْن خَلْقِها ضامرةَ الخاصرة. والمفاضة: المسترخية البطن. والسجنجل: المرآة، وقيل: الفضة.

(٢) في النسخ: وقال عكرمة، والمثبت هو الصواب، وأخرج هذه الأخبار الطبري ٢٤/ ٢٩٣ .

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٩٥ ، وذكره ابن الجوزي ٩/ ٨٣ ، وليس فيهما: يعني ترائب المرأة. وذكره مكي عن ابن عباس، كما في روح المعاني ٣٠/ ٩٧ ، وفيه: أطراف المرء، بدل: ترائب المرأة.

(٤) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٩٥ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٩٤ .

(٦) ذكرهما ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٥ .

(٧) أخرجه الحاكم ٢/ ٥٢٠ بلفظ: الترائب أربعة أضلاعٍ من كل جانب من أسفل الأضلاع.

(٨) في معاني القرآن ٥/ ٣١٢ .

(٩) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٩٦ .

والمشهورُ من كلام العرب: أنَّها عظامُ الصَّدر والنحر، قال دُريد بن الصمة:

فإنْ تُدْبِروا نأخُذْكُمْ في ظهورِكُمْ ... وإنْ تُقْبِلوا نَأخُذْكم في الترائبِ(١)

وقال آخر:

وبَدَتْ كأنَّ ترائباً من نحرها ... جَمْرُ الغَضَى في ساعدٍ تَتوقَّدُ(٢)

وقال آخر:

والزَّعْفرانُ على تَرائِبِها ... شَرِقٌ به اللَّبّاتُ والنحرُ(٣)

وعن عكرمةَ: الترائبُ الصَّدر، ثم أنشد:

نِظامُ دُرٍّ على ترائبِها(٤)

وقال ذو الرمّة:

ضَرَجْنَ البُرودَ عن ترائبِ حُرةٍ(٥)

أي: شَقَقْنَ. ويُروى «ضَرَحْنَ» بالحاء، أي: أَلْقَيْنَ(٦). وفي «الصحاح»: والتَّرِيبَةُ: واحدةُ الترائب، وهي عظامُ الصدرِ، مابين التَّرْقُوةِ والثَّنْدُوة. قال الشاعر:

---

(١) ديوان دريد بن الصمة ص٢٨، والأصمعيات ص١١٢، وفيهما: يأخُذْنكم، بدل: نأخذكم.

(٢) لم نقف عليه. قوله: جمر الغضى، الغضى: شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب، وجمره يبقى زماناً طويلاً لا ينطفئ. المعجم الوسيط (غضي).

(٣) البيت للمخبل، كما في اللسان (شرق)، وهو دون نسبة في معاني القرآن للفراء ٣/ ١٤٦، وتفسير الطبري ٢٢/ ٥٤٦، و٢٤/ ٢٩٦، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٠١، ووقع في هذه المصادر: شَرِقاً، بدل: شرق، وذكره في البحر ٨/ ٤٥٣ برواية: شرقت. وهو برواية المصنف في النكت والعيون ٦/ ٢٤٧، واللسان (ترب).

(٤) أخرجه عبد بن حميد، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٣٦، وفيه:

نظامُ اللؤلؤِ على ترائبها ... شَرِقاً به اللَّبّاتُ والنحرُ

(٥) وعجزه: وعن أعْيُنٍ قتلننا كلَّ مقتل. وهو في الديوان ٣/ ١٤٦٧.

(٦) الصحاح (ضرج).

أَشْـرفَ ثَـدْيـاهـا عـلـى الـتَّـرِيـبِ(١)

وقال المثقَّبُ العَبْدِيُّ:

ومِـن ذَهَـبٍ يَـبـيـنُ(٢) عـلـى تَـرِيـبٍ كـلـونِ الـعـاجِ لـيـس بـذي غُـضـونِ

عن غير الجوهريِّ.

الثُّنْدُؤةُ للرجل: بمنزلةِ الثَّدي للمرأة. وقال الأصمعيُّ: مَغْرِزُ الثَّدْي. وقال ابنُ السِّكِّيت: هي اللحمُ الذي حَوْلَ الثَّدْيِ، إذا ضَمَمْتَ أوَّلها هَمَزْتَ، وإذا فَتَحْتَ لم تَهْمِز(٣).

وفي التفسير: يخلق من ماء الرجل الذي يخرجُ من صُلْبِه العظم والعَصَب. ومن ماء المرأة الذي يخرجُ من ترائبها اللحم والدَّم. وقاله الأعمش(٤). وقد تقدَّم مرفوعاً في أوَّلِ سورةِ آلِ عمران(٥). وفي «الحجرات»: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الآية: ١٣] وقد تقدَّم.

وقيل: إنَّ ماء الرجلِ ينزلُ من الدماغ، ثم يجتمعُ في الأُنْثَيين(٦). وهذا لا يُعارِضُ قولَه: «مِن بينِ الصُّلْبِ»؛ لأنه إنْ نَزَلَ من الدِّماغ، فإنَّما يمرُّ بين الصُّلْبِ والترائب.

وقال قتادةُ: المعنى: ويخرج من صُلْبِ الرجلِ وترائبِ المرأة. وحكى الفراء(٧)

---

(١) الصحاح (ترب)، والبيت للأغلب العجلي، كما في اللسان (ترب)، وعجزه: لم يَعْدُوَا التَّفليكَ في النُّتُوبِ. فلَّك ثديها: استدار. والنتوب: النهود، وهو ارتفاعه. القاموس (فلك)، واللسان (ترب).

(٢) في (م) و(ز) وتفسير الطبري: يسن، ولم تجود في (د)، وسقط هذا الموضع من (ي)، والمثبت من (ظ) وروح المعاني ٣٠/ ٩٧ . والبيت في المفضليات ص٢٨٩ ، وتهذيب اللغة ١٤/ ٢٧٥ ، ومنتهى الطلب من أشعار العرب ٤/ ١٦ برواية: يلوح.

(٣) من قوله: الثندؤة للرجل، إلى هذا الموضع ليس في النسخ الخطية، والكلام من الصحاح (ثدأ).

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٦٦ .

(٥) ٥/ ١٤ .

(٦) أي: الخصيتين. القاموس (أنث).

(٧) في معاني القرآن ٣/ ٢٥٥ .

أنَّ مِثْلَ هذا يأتي عن العرب، وعليه فيكونُ معنى «من بينِ الصُّلْب»: من الصُّلْب.

وقال الحسن: المعنى: يخرج من صُلْبِ الرجلِ وترائبِ الرجلِ، ومن صُلْبِ المرأةِ وترائبِ المرأة(١).

ثم إنَّا نعلم أنَّ النطفة من جميع أجزاء البدن؛ ولذلك يُشْبِهُ الرجلُ والديه كثيراً. وهذه الحكمةُ في غَسْلِ جميعِ الجسدِ من خروج المني. وأيضاً المكْثِرُ من الجماع يجدُ وَجَعاً في ظَهْرِه؛ وليس ذلك إلَّا لخلوِّ صُلْبِه عمَّا كان مُحْتَبِساً من الماء.

ورَوَى إسماعيلُ عن أهلِ مكة: «يخرج من بين الصُّلُب» بضمِّ اللام. ورُوِيتْ عن عيسى الثقفيِّ(٢). حكاه المهدويُّ وقال: مَن جَعَلَ المنيَّ يخرج من بين صُلْبِ الرجل وترائبه، فالضميرُ في «يَخْرجُ» للماء. ومَن جَعَلَه من بين صُلْبِ الرجلِ وترائبِ المرأة، فالضميرُ للإنسان.

وقُرئ: «الصَّلَب»، بفتح الصَّاد واللام. وفيه أربعُ لغاتٍ: صُلْبٌ وصُلُبٌ وصَلَبٌ وصَالبٌ. قال العَجَّاج:

فـي صَـلَـبٍ مِـثْـلِ الـعِـنـانِ الـمُـؤْدَمِ(٣)

وفي مَدْحِ النبيِّ ﷺ:

تُـنْـقَـل مـن صَـالـبٍ إلـى رَحِـمِ(٤)

الأبياتُ مشهورةٌ معروفةٌ.

---

(١) ذكره بنحوه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٥ .

(٢) القراءات الشاذة ص١٧١ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٦٥ .

(٣) الكشاف ٤/ ٢٤١ ، وقد سلف نحو هذا الكلام ص٢٠٦ من هذا الجزء، والبيت في ديوان العجاج ص٢٨١ ، وقبله: ريَّا العظامِ فَعْمةُ المخدَّم. قال شارح الديوان: الفَعْم: الممتلئ، والمخدَّم: موضع الخِدام، وهو الخلخال. وقال السيرافي في شرح أبيات إصلاح المنطق ص١٢٣ : ريَّا: ليست بمهزولةٍ تَبِينُ عظامها، وصُلْبُها مثلُ العنان نعمةً واستواءً. والعنان المؤدم: الذي لم تُقْشَر أَدَمتُه، فهو أَلينُ له. وقوله: في صَلَب، أي: مع صَلَبٍ. وفي أساس البلاغة (عنن): امرأة معنَّنة، أي: مجدولة جَدْلَ العنان.

(٤) سلف ١٤/ ٨٧ ، و ص١٧٥ و ص٢٠٦ من هذا الجزء.

﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: إنَّ الله جلَّ ثناؤه ﴿عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ﴾ أي: على ردِّ الماءِ في الإحليل، ﴿لَقَادِرٌ﴾ كذا قال مجاهدٌ والضحاك[(١)]. وعنهما أيضاً أنَّ المعنى: إنَّه على ردِّ الماءِ في الصُّلْب. وقاله عكرمة[(٢)].

وعن الضحَّاك أيضاً: أنَّ المعنى: إنَّه على ردِّ الإنسان ماءً كما كان لقادر[(٣)]. وعنه أيضاً أنَّ المعنى: إنه على ردِّ الإنسانِ من الكِبَر إلى الشباب، ومن الشباب إلى الكبر، لقادر؛ كذا في المهدويِّ. وفي الماوردِيِّ والثعلبيِّ: إلى الصِّبا، ومن الصبا إلى النطفة[(٤)].

وقال ابن زيد: إنه على حَبْسِ ذلك الماءِ حتى لا يخرج، لقادر[(٥)].

وقال ابن عباس وقتادةُ والحسن وعكرمةُ أيضاً: إنه على ردِّ الإنسانِ بعد الموتِ لقادر[(٦)]. وهو اختيارُ الطبريِّ[(٧)]. الثعلبيُّ: وهو الأقوى؛ لقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾.

قال الماورديُّ[(٨)]: ويحتمل: إنه على أنْ يُعِيدَه إلى الدنيا بعد بَعْثِه في الآخرة؛ لأنَّ الكفار يَسألون الله تعالى فيها الرَّجْعةَ.

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾

فيه مسألتان:

---

(١) أخرجه الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٥٥، والطبري ٢٤/ ٢٩٧ عن مجاهد.

(٢) الوسيط ٤/ ٤٦٥ عن عكرمة والضحاك، وأخرجه عن عكرمة الطبري ٢٤/ ٢٩٧.

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٩٨.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٢٤٧، ومثله في تفسير الطبري ٢٤/ ٢٩٩، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٠٠، وزاد المسير ٩/ ٨٤.

(٥) زاد المسير ٩/ ٨٤، وأخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ٢٩٩.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٢٤٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٦٦، وأخرجه الطبري ٢٤/ ٢٩٩-٣٠٠ عن قتادة.

(٧) في التفسير ٢٤/ ٣٠٠.

(٨) في النكت والعيون ٦/ ٢٤٧.

الأولى: العاملُ في «يومَ» ـ في قولِ مَن جَعَلَ المعنى: إنَّه على بعثِ الإنسان ـ قولُه «لقادر»، ولا يَعْملُ فيه «رَجْعِه»؛ لِمَا فيه من التَّفْرِقةِ بين الصِّلةِ والموصولِ بخبرِ «إنَّ» (١).

وعلى الأقوال الأُخَر التي في «إنه على رجْعِه لقادِر»، يكونُ العاملُ في «يومَ» فعلٌ مُضْمَرٌ، ولا يعملُ فيه «لقادر»؛ لأنَّ المراد: في الدنيا. و﴿تُبْلَى﴾ أي: تُمتَحَنُ وتُختَبَر؛ قال أبو الغُول الطُّهَوِيُّ:

ولا تُبْلَى بَسالَتُهُمْ وإنْ هُمْ ... صَلُوا بالحَرْب حِيناً بعدَ حِينِ(٢)

ويروى: «تَبْلَى بَسالَتُهم»، فَمَن رواه «تُبلى» ـ بضم التاء ـ جَعَلَه من الاختبار، وتكون البسالةُ على هذه الرواية: الكراهةَ، كأنه قال: لا يُعْرفُ لهم فيها كراهةٌ. و«تُبلى»: تُعْرَف. قال الراجز:

قد كنتَ قبلَ اليومِ تَزْدَريني ... فاليومَ أَبْلُوكَ وتَبْتَلِيني(٣)

أي: أَعْرِفُكَ وتَعْرِفُني. ومَن رواه: تَبْلَى ـ بفتح التاء ـ فالمعنى: أنهم لا يَضْعُفون عن الحرب وإنْ تَكَرَّرتْ عليهم زمانًا بعدَ زمانٍ. وذلك أنَّ الأمورَ الشِّدادَ إذا تَكَرَّرتْ على الإنسان هَدَّتْه وأَضْعفَتْه.

وقيل: «تُبْلَى السرائر»، أي: تخرج مخبَّآتُها وتَظْهَر، وهو كلُّ ما كان استسرَّه

---

(١) وأجاز بعض العلماء أن يكون العامل فيه «رجعه»، مثل الطبري ٢٤/ ٢٠٠، والزمخشري ٤/ ٢٤١. وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٦: قالوا: وفي المصدر من القوة بحيث يعمل وإن حال خبر إنَّ بينه وبين معموله، وقال الحذَّاق: العامل فعل مضمر تقديره: فرَجْعُه يومَ تبلى السرائر.

(٢) أمالي القالي ١/ ٢٦٠، والصحاح (صلي)، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/ ١٣٩، والخزانة ٦/ ٤٣٣. قال البكري في سمط اللآلي ١/ ٥٨٠: أي: لا يختبر ما عندهم من النجدة والبأس وإن طال أمد الحرب. اهـ. وأبو الغول قال عنه الآمدي في المؤتلف والمختلف ص٢٤٥: هو من قوم من بني طهية يقال لهم: بنو عبد شمس بن أبي سود، وكان يكنى أبا البلاد، وقيل له: أبو الغول؛ لأنه فيم زعم رأى غولاً فقتلها. وقال البغدادي في الخزانة ٦/ ٤٤٠: لم أقف على كونه إسلاميًّا أو جاهليًّا.

(٣) ذكره الشوكاني في فتح القدير ٥/ ٤٢٠.

الإنسانُ من خيرٍ أو شرٍّ، وأَضْمرَه من إيمانٍ أو كفر، كما قال الأَحْوَصُ:

سيَبْقَى لها[١] في مُضْمَرِ القلبِ والحَشَا ... سريرةُ وُدٍّ يومَ تُبْلَى السَّرائرُ

الثانية: رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «ائتَمنَ الله تعالى خَلْقَه على أربعٍ: على الصلاة، والصوم، والزكاة، والغُسْلِ، وهي السرائرُ التي يَخْتَبِرُها الله عزَّ وجلَّ يومَ القيامة»[٢]. ذَكَره المَهْدَويُّ.

وقال ابنُ عمرَ: قال النبيُّ ﷺ: «ثلاثٌ مَن حافَظَ عليها فهو وليُّ الله حقًّا، ومَن اختانَهنَّ فهو عدوُّ الله حقًّا: الصلاةُ، والصَّوْمُ، والغُسْلُ من الجنابة»[٣] ذَكَره الثعلبيُّ.

وذكر الماوَرْدِيُّ عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «الأمانةُ ثلاثٌ: الصلاةُ، والصومُ، والجنابةُ. استَأْمَنَ الله عزَّ وجلَّ ابنَ آدمَ على الصلاة، فإنْ شاء قال: صلَّيْتُ، ولم يُصَلِّ. استأمنَ الله عزَّ وجلَّ ابنَ آدمَ على الصوم، فإن شاء قال: صُمْتُ، ولم يَصُمْ. استأمنَ الله عزَّ وجلَّ ابنَ آدمَ على الجنابة، فإن شاء قال: اغْتَسَلْتُ، ولم يَغْتَسِلْ، اقرؤوا إنْ شئتُم: ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾[٤]»، وذكره الثعلبيُّ عن عطاء قوله[٥].

وقال مالكٌ في روايةِ أَشْهبَ عنه، وسأَلْتُه عن قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾: أَبَلَغكَ أنَّ الوضوءَ مِن السَّرائر؟ قال: قد بلغني ذلك فيما يقولُ الناسُ، فأمَّا حديثٌ أُحدِّثُ به فلا[٦]. والصَّلاةُ من السرائر، والصِّيامُ من السرائر، إنْ شاء قال: صلَّيتُ، ولم يُصَلِّ. ومِن السرائرِ ما في القلوب، يجزي اللهُ به العبادَ.

---

(١) في (ظ): سيبلى لكم، وهو موافق لما في الشعر والشعراء ١/ ٥١٨ ، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في الديوان ص٨٤ ، والخزانة ٢/ ١٨ .

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٢٧٥١)، والواحدي في الوسيط ٤/ ٤٦٦ من حديث أبي الدرداء ﷺ.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٩٥٦) من حديث أنس ﷺ. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٢٩٣ : فيه عدي بن الفضل وهو ضعيف.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٢٤٨ ، وسلف بنحوه ١٧/ ٢٤٥ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٤/ ٣٠٠ .

(٦) في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٠٦ (والكلام منه): فأما حديث أخذته فلا.

قال ابن العربي: قال ابن مسعود: يُغفر للشهيدِ إلَّا الأمانةَ، والوضوءُ من الأمانة، والصلاةُ والزكاةُ من الأمانة، والوديعةُ من الأمانة، وأشدُّ ذلك الوديعةُ؛ تُمَثَّلُ له على هيئتها يومَ أَخَذَها، فيُرْمَى بها في قَعْرِ جهنَّم، فيقال له: أَخْرِجْها، فَيَتْبَعُها فيجعلها في عُنُقِه، فإذا رَجَا أن يخرج بها زَلَّتْ منه، فيتبعُها، فهو كذلك دَهْرَ الداهرين. وقال أُبيُّ بن كعب: من الأمانةِ أنِ ائتُمنتِ المرأةُ على فَرْجِها[١].

قال أشهبُ: قال لي سفيان: في الحيضة والحمل، إن قالت: لم أَحِضْ وأنا حامِلٌ صُدِّقتْ، ما لم تأتِ بما يُعْرَفُ فيه أنَّها كاذبةٌ. وفي الحديث: «غُسْلُ الجنابةِ من الأمانة»[٢].

وقال ابن عمرَ: يُبدي اللهُ يومَ القيامةِ كلَّ سرٍّ خفيٍّ، فيكونُ زيناً في الوجوه، وشَيْناً في الوجوه[٣]. واللهُ عالمٌ بكلِّ شيءٍ، ولكنْ يظهر[٤] علامات الملائكةِ والمؤمنين.

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُۥ﴾ أي: للإنسان ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ أي: منعةٍ تَمنعُه ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ ينصرُه ممَّا نزل به. وعن عِكرمةَ «فما له مِن قوةٍ لا ناصِرٍ» قال: هؤلاء الملوكُ، مالهم يومَ القيامةِ من قوةٍ ولا ناصرٍ. وقال سفيان: القوّة: العَشِيرة. والناصر: الحلِيف[٥].

وقيل: «فماله من قوةٍ» في بدنه، و«لا ناصِرٍ» من غيره يمتنعُ به من الله. وهو معنى قولِ قتادة[٦].

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٩٠٦ . وقول أبيٍّ ﷺ سلف ١٧/ ٢٤٥ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٩٠٦ ، وقوله: غسل الجنابة. . . ، أخرجه بنحوه أبو داود (٤٢٩) من حديث أبي الدرداء ﷺ موقوفاً، وسلف ١٧/ ٢٤٥ .

(٣) الوسيط ٤/٤٦٦ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٧٤ .

(٤) في (ظ): تظهر.

(٥) أخرجه الطبري ٢٤/٣٠١-٣٠٢ .

(٦) النكت والعيون ٦/٢٤٨ ، وأخرجه عن قتادة عبد الرزاق ٢/ ٣٦٥ ، والطبري ٢٤/٣٠١ .

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ أي: ذاتِ المطر. تَرجعُ كلَّ سنةٍ بمطرٍ بعدَ مطرٍ. كذا قال عامَّةُ المفسِّرين. وقال أهلُ اللغةِ: الرَّجْعُ: المطر، وأنشدوا للمُتَنَخِّل يصفُ سيفاً شبَّهه بالماء:

أبـيـضُ كـالـرَّجْـعِ رَسُـوبٌ إذا ... مـا ثـاخ فـي مُـحْـتَـفَـلٍ يَـخْـتَـلـي[1]

قال الخليلُ: الرَّجْعُ: المطر نَفْسُه، والرَّجْعُ أيضاً: نباتُ الربيع[2]. وقيل: «ذاتِ الرَّجْعِ»، أي: ذاتِ النَّفْع[3].

وقد يُسمَّى المطرُ أيضاً أَوْبا، كما يسمَّى رَجْعاً، قال:

رَبَّـاءُ شَـمَّـاءَ لا يـأوِي لِـقُـلَّـتِـهـا ... إلَّا الـسَّـحـابُ وإلَّا الأَوْبُ والـسَّـبَـلُ[4]

وقال عبد الرحمن بن زيد: الشمسُ والقمرُ والنجومُ يَرْجِعْنَ في السماء، تَطْلعُ من ناحيةٍ وتَغيبُ في أخرى[5].

وقيل: ذاتِ الملائكة؛ لرجوعهم إليها بأعمال العباد.

---

(١) ديوان الهذليين ٢/ ١٢، ومجاز القرآن ٢/ ٢٩٤، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٣١٢، وتفسير الطبري ٢٤/ ٣٠٢، والصحاح (رجع) و(ثوخ). قال شارح ديوان الهذليين: المحتفل: مُعْظَم الشيء، محتفل الوادي: معظمه، وثاخ وساخ واحد، أي: غاب. يختلي: يقطع. والرسوب: الذي إذا وقع غَمُضَ مكانه لسرعة قَطْعِه. اهـ. وقال الجوهري: ثاخت قدمه بالوحل تثوخ وتثيخ: خاضت وغابت فيه.

(٢) العين ١/ ٢٢٧.

(٣) الصحاح (رجع).

(٤) الكشاف ٤/ ٢٤١، والبيت للمتنخل الهذلي، وهو في ديوان الهذليين ٢/ ٣٧ ضمن قصيدة يرثي فيها الشاعر ابنه. قوله: ربَّاء، هو صيغة مبالغة، من ربأت الجبل: إذا صعدته، فيكون رباءُ شمَّاءَ، كقولهم: طلَّاعُ أَنْجُدٍ، وهو مضاف إلى شماء، والمعنى: ربَّاءُ هضبةٍ شماءَ. وقوله: لايدنو لقلَّتها، أي: لرأسها، أي: لا يعلو هذه الهضبة من طولها إلا السحاب، والسَّبَل: المطر النازل. ينظر الخزانة ٥/ ٣-٦.

(٥) أخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ٣٠٤.

وهذا قَسَمٌ. ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ قَسَمٌ آخرُ، أي: تتصدَّعُ عن النباتِ والشَّجرِ والثِّمارِ والأنْهارِ، نظيرُه: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾ الآيةَ [عبس:٢٦]. والصَّدْعُ: بمعنى الشَّقِّ؛ لأنَّه يَصْدَعُ الأرضَ، فتنصَدِعُ به. وكأنه قال: والأرضِ ذاتِ النباتِ؛ لأنَّ النباتَ صادِعٌ للأرض[١].

وقال مجاهدٌ: والأرضِ ذاتِ الطُّرُقِ التي تَصْدَعُها المُشَاةُ. وقيل: ذاتِ الحَرْثِ؛ لأنه يَصْدَعُها. وقيل: ذاتِ الأمواتِ؛ لانْصِداعِها عنهم للنشور[٢].

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ على هذا وَقَعَ القَسَم. أي: إنَّ القرآن يَفْصِلُ بينَ الحقِّ والباطل. وقد تقدَّم في مقدمة الكتاب[٣] ما رواه الحارثُ عن عليٍّ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «كتاب اللهِ فيه خَبَرُ ما قَبْلَكم وحُكْمُ ما بَعْدَكم، هو الفَصْلُ ليس بالهَزْلِ، مَن تَرَكَه من جَبَّارٍ قَصَمَه الله، ومَن ابْتَغَى الهُدَى في غيره أَضَلَّه الله».

وقيل: المرادُ بالقول الفَصْلِ: ما تقدَّم من الوعيدِ في هذه السورةِ، من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾[٤].

﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ أي: ليس القرآنُ بالباطِلِ واللَّعِب. والهَزْلُ: ضدُّ الجِدِّ، وقد هَزَلَ يَهْزِلُ. قال الكُميت:

يُـجَـدُّ بـنـا فـي كـلِّ يـومٍ ونَـهْـزِلُ[٥]

﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: إنَّ أعداءَ الله ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ أي: يمكُرون بمحمدٍ ﷺ وأصحابِه

---

(١) أخرج هذا القول عبد الرزاق ٢/ ٣٦٥، والطبري ٢٤/ ٣٠٤ عن ابن عباس قال: ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ قال: ذات النبات.

(٢) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢٤٩.

(٣) ١/ ١٠-١١.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٢٤٩.

(٥) وصدره: أرانا على حبِّ الحياة وطولها، وهو في شرح هاشميات الكميت ص١٤٨. قال ابن زيد الأسدي الشارح: يقول: نحب أن تطول حياتنا، ونحن كلَّ يوم نقرب إلى آجالنا.

مَكْراً. ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أي: أُجازيهم جزاءَ كَيْدِهم. وقيل: هو ما أَوْقَع الله بهم يومَ بدرٍ من القتل والأسر.

وقيل: كَيْدُ اللهِ: استِدْراجُهم من حيث لا يعلمون. وقد مضى هذا المعنى في أوّلِ «البقرة» عند قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [الآية: ١٥] مُسْتوفًى.

قوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ۝١٧﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: أَخِّرهم، ولا تَسْألِ اللهَ تعجيلَ إهلاكِهم، وارْضَ بما يُدبِّره في أمورهم. ثم نُسِخَتْ بآيةِ السيفِ: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥](١).

﴿أَمْهِلْهُمْ﴾ تأكيدٌ. ومَهَّل وأَمْهَلَ: بمعنىً، مثل: نَزَّل وأَنْزل. وأَمْهَلَه: أَنْظَرَه، ومهَّله تمهيلاً، والاسمُ: المُهْلَة. والاسْتِمهالُ: الاستنظار. وتَمهَّلَ في أمره، أي: اتَّأَدَ. واتْمَهَلَ اتْمِهْلالاً، أي: اعْتَدَلَ وانْتَصبَ. والاتْمِهلالُ أيضاً: سكونٌ وفتور(٢). ويقال: مهلاً يافلانُ، أي: رِفْقاً وسكوناً(٣).

﴿رُوَيْدًۢا﴾ أي: قريباً، عن ابن عباس. قتادة: قليلاً(٤)، والتقدير: أَمْهِلْهم إمهالاً قليلاً. والرُّوَيْد في كلام العرب: تصغيرُ رُوْد. وكذا قال أبو عبيد(٥)، وأنشد:

كأنَّها ثَمِلٌ يمشي على رُودِ(٦)

---

(١) الوسيط ٤/ ٤٦٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٦٧، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ص٢٥١، قال ابن الجوزي: وإذا قلنا: إنه وعيد، فلا نسخ.

(٢) الصحاح (مهل).

(٣) تهذيب اللغة ٦/ ٣٢١.

(٤) أخرج القولين الطبري ٢٤/ ٣٠٧-٣٠٨.

(٥) في (د): عبيدة.

(٦) الصحاح (رود)، وصدره: تكاد لا تثلم البطحاء وطأتها، والبيت للجَموح الظَّفَري، كما في اللسان (رود)، وذكره الزمخشري في أساس البلاغة (رويد) برواية: خطوتها، بدل: وطأتها. وذكره ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص٤٢٣ برواية: كأنها مِثْلُ مَن يمشي على رُودِ.

أي: على مَهَل. وتفسيرُ «رُوَيداً»: مَهْلاً، وتفسيرُ رُوَيْدَكَ: أَمْهِلْ؛ لأنَّ الكافَ إنَّما تَدْخُله إذا كان بمعنى أَفْعِلْ دون غيرهِ[١]، وإنَّما حرِّكت الدالُ لالتقاءِ الساكِنَيْنِ، فنُصِبَ نَصْبَ المصادرِ، وهو مصغَّرٌ مأمورٌ به؛ لأنه تصغيرُ التَّرْخيمِ من إرواد، وهو مصدرُ أَرْوَدَ يُرْوِد[٢]. وله أربعةُ أَوْجُهٍ: اسمٌ للفعل، وصفةٌ، وحالٌ، ومصدرٌ. فالاسمُ نحوُ قولِكَ: رُوَيْدَ عَمْراً، أي: أَرْوِدْ عمراً، بمعنى أَمْهِلْه. والصفةُ نحوُ قولِكَ: ساروا سَيْراً رُوَيْداً، والحالُ نحوُ قولك: سار القومُ رُوَيْدًا، لمَّا اتَّصلَ بالمعرفة صار حالاً لها. والمصدرُ نحو قولك: رُوَيْدَ عَمرٍو بالإضافة، كقوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤]. قال جميعهَ الجوهريُّ[٣].

والذي في الآية من هذه الوجوه أن يكون نعتًا للمصدر، أي: إمهالاً رُوَيداً. ويجوزُ أن يكون للحال، أي: أَمْهِلْهم غيرَ مستعجِلٍ لهم العذابَ. خُتِمَتِ السورة.

---

(١) وتقول رويدَكَ عمراً، أي: أَمْهِلْه وهذه الكاف للخطاب لا موضعَ لها من الإعراب لأنها ليست بِاسْمٍ، ورويد غير مضاف إليها. وهو متعدٍّ إلى عمرو؛ لأنه اسم سمِّي به الفعل يعمل عمل الأفعال. الصحاح (رود).

(٢) وتقول: أَرْوِدْه إرواداً، بمعنى: أَمْهِلْه إمهالاً، ثم صغَّروا الإرواد تصغير الترخيم، ثم نقلوه وسمَّوْا به فِعْلَه فقالوا: رويدَ عمراً. وتصغير الترخيم: هو أن تصغر الاسم على حذف الزوائد التي فيه، كقولك في حارث: حريث، وفي سرحوب: سُرَيْحِب؛ لأن الواو فيه زائدة. ينظر المقتضب ٢/ ٢٩٣، وأوضح المسالك ص٥٤٧-٥٤٨.

(٣) في الصحاح (رود).

سُورَةُ الطَّارِقِ

مَكيَّةٌ، وآيُها سبعَ عشرةَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾: والكوكبِ البادِي بالليلِ، وهـو فـي الأصلِ لسالكِ الطَّريقِ، واختَصَّ عُرفًا بالآتي ليلًا، ثمَّ استُعمِلَ للبَادِي فيه[1].

(٢ ـ ٣) ـ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾: المضيءُ؛ كأنَّه يثقُبُ الظَّلامَ بضَوئِهِ فيَنفُذُ فيه، أو[2] الأفلاكَ[3]، والمرادُ الجنسُ، أو معهودٌ بالثَّقْبِ، وهو زُحَلُ، عبَّرَ عنه أوَّلًا بوصفٍ عامٍّ، ثمَّ فسَّرَه بما يخصُّهُ تفخيمًا لشأنِه.

(٤) ـ ﴿إنْ كلُّ نفسٍ لَمَا عليهَا﴾؛ أي: إنَّ الشَّأنَ كلُّ نفسٍ لَعَلَيْها ﴿حَافِظٌ﴾: رقيبٌ، فـ﴿إن﴾ هي المخفَّفَةُ، واللامُ الفاصلةُ، و(ما) مزيدةٌ.

وقرأَ ابنُ عامرٍ وعاصمٌ وحمزَةُ: ﴿لَّمَّا﴾[4] على أنَّها بمَعنى: إلا، و﴿إن﴾ نافيَةٌ.

والجملةُ على الوجهينِ جوابُ القَسَمِ.

---

(١) قوله: «للبادي»، أي: للكوكب البادي. قاله الشهاب.

(٢) قوله: « الأفلاك» معطوفٌ على «الظلام»، قاله الشهاب.

(٣) قوله: «أو الأفلاك» معطوفٌ على «الظلام»، قاله الشهاب.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٨)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

(٥) ـ ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ لَمَّـا ذكـرَ أنَّ كُلَّ نفـسٍ عليها حافـظٌ، أتبعَهُ توصيةَ الإنسـانِ بالنَّظـرِ في مَبدئِـهِ ليعلمَ صحَّـةَ إعادَتِه، فلا يُملـي على حافظِهِ إلا ما يَسُـرُّهُ فـي عاقبَتِه.

(٦) ـ ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ جوابُ الاستفهامِ، و﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ بمعنى: ذي دَفْقٍ، وهو صَبٌّ فيه دفعٌ، والمرادُ: الممتزجُ مِن الماءينِ في الرَّحِمِ؛ لقولِه:

(٧) ـ ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾: مِـن بيـنِ صُلْـبِ الرَّجُـلِ وترائـبِ المرأةِ وهي عظـامُ صدرِها.

ولو صحَّ أنَّ النُّطفةَ تتولَّدُ مِن فضلِ الهضمِ الرَّابعِ، وتنفَصِلُ عَن جميعِ الأعضاءِ حتَّى تَستعدَّ لأنْ يتولَّدَ منها مثلَ تلك الأَعضاءِ، ومقرُّهَا عروقٌ مُلتَفٌّ بَعضُها بالبعضِ عند البيضتَيْنِ= فالدِّماغُ[١] أعظَمُ الأعضاءِ معونةً في تَوليدِها ولذلك تُشْبِهُهُ، ويُسرِّعُ الإفراطُ في الجماعِ بالضَّعفِ فيه[٢]، وله خليفةٌ وهي النُّخاعُ، وهو في الصُّلبِ، وشعبٌ كثيرةٌ نازِلَةٌ إلى التَّرائبِ، وهما أقربُ إلى أوعيَةِ المنيِّ، فلذلك خُصَّا بالذِّكرِ.

وقُـرِئَ: (الصَّلَـبِ) بفَتْحَتيـنِ، و(الصُّلُـبِ) بضَمَّتيـنِ[٣]، وفيه لغـةٌ رابعةٌ وهي: صالِبٌ.

(٨) ـ ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ والضَّميرُ للخالقِ ويدلُّ عليه ﴿خُلِقَ﴾.

(٩) ـ ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾: يُتَعرَّفُ ويُميَّزُ بين ما طابَ مِن الضَّمائرِ وما خَفِيَ مِن الأعمالِ وما خبُثَ مِنها، وهو ظرفٌ لـ﴿رَجْعِهِۦ﴾.

---

(١) قولـه: «فالدمـاغ» جـواب (لـو)، وفـي نسـخة: «فـلا شـك أن الدمـاغ». انظـر: «حاشـية الأنصاري» (٥/ ٤٨٨).

(٢) «بالضعف فيه»؛ أي: في الدماغ.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٧١) الأولى عن اليماني، والثانية عن عيسى.

(١٠) ـ ﴿فَمَا لَهُ﴾: فما للإنسانِ ﴿مِن قُوَّةٍ﴾: مِن مَنعةٍ في نَفسِه يمتنعُ بها ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ يمنعُه.

(١١) ـ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾: تَرجِعُ[1] في كلِّ دورةٍ إلى الموضعِ الذي تتحرَّكُ عنه. وقيل: الرَّجْعُ: المطرُ، سُمِّيَ به كما سُمِّيَ أَوْبًا؛ لأنَّ اللهَ يُرجِعُهُ وَقْتًا فوقْتًا، أو لِمَا قيلَ مِن أنَّ السَّحابَ يحملُ الماءَ مِن البِحارِ ثمَّ يُرجِعُهُ إلى الأرضِ، وعلى هذا يجوزُ أَنْ يكونَ المرادُ بالسَّماءِ السَّحابَ.

(١٢) ـ ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾: ما تتصدَّعُ عنه الأرضُ مِن النَّباتِ، أو: الشَّقِّ بالنَّباتِ والعُيونِ.

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿إِنَّهُ﴾: إنَّ القرآنَ ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ فاصلٌ بينَ الحقِّ والباطلِ ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ فإنَّه جِدٌّ كلُّهُ.

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني: أهلَ مكَّةَ ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ في إبطالِه وإطفاءِ نورِه ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾: وأقابِلُهُم بكيدي في استِدراجي لهم وانتقامي مِنْهُم بحيثُ لا يَحتَسِبُون.

(١٧) ـ ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾: فلا تشتَغِلْ بالانتقامِ مِنهُم، أو: لا تَستعجِلْ بإهلاكِهِم ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾: إمهالًا يسيرًا، والتَّكريرُ وتَغييرُ البِنيةِ لزِيادَةِ التَّسكينِ.

عَن النَّبيِّ ﷺ: «مَن قرأَ سُورَةَ الطَّارِقِ أعطَاهُ اللهُ بعددِ كلِّ نجمٍ في السَّماءِ عشرَ حَسَناتٍ»[2].

---

(١) بالبناء للفاعل أو المفعول؛ كما قال الشهاب.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ١٩٦)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٦٤)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧٣)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور.

سورة الطارق(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٍ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ۝١٠﴾.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ولمّا ذكر فيما قبلها تكذيب الكفار للقرآن، نبّه هنا على حقارة الإنسان، ثم استطرد(2) منه إلى أنّ هذا القرآن قولٌ فصلٌ جدٌّ لا هزل فيه، ولا باطل يأتيه. ثم أمر نبيّه عليه السلام بإمهال أولئك الكفرة المكذبين، وهي آية موادعة منسوخة بآية السيف(3). ﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾ هي السماء المعروفة. ﴿وَٱلطَّارِقِ﴾ هو الآتي ليلاً [٥٧٦/ أ] أي: يظهر بالليل، أتى بالطارق مقسماً به، وهي صفة مشتركة بين النجم الثاقب وغيره، ثم فسّره بقوله ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ إظهاراً لفخامة ما أقسم به. و﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ قال ابن عباس: هو الجدي.

﴿إِن كُلُّ نَفۡسٍ﴾ [«إنّ»] هي المخففة من الثقيلة، و«ما» زائدة، [و«حافظ» خبر «كل»، و«عليها» متعلق به. وعند الكوفيين «إنْ» نافية، واللام بمعنى

---

(1) مكية وآياتها سبع عشرة.

(2) ق: استطرده.

(3) الآية ٥ من التوبة.

إلاّ، و«ما» زائدة»]، و«كل» و«حافظ» مبتدأ وخبر. والظاهر عموم «كل نفس».

ولمّا ذكر أنّ[١] كل نفس عليها حافظ، أتبع ذلك بوصيّة الإنسان بالنظر في أول نشأته الأولى، حتى يعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه، فيعمل لذلك، ولا يملي على حافظه إلا ما يسّره في عاقبته. و«مم خلق» استفهام. و«مِن» متعلقة بـ«خُلق» والجملة في موضع نصب بـ«فلينظر» وهي معلّقة. وجواب الاستفهام ما بعده وهو ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ وهو منيّ الرجل والمرأة لما امتزجا في الرحم واتّحدا، عبّر عنهما، وهو مفرد. و﴿دَافِقٍ﴾ بمعنى مدفوق.

﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ أي: تُختبر. و«السرائر» ما أكنّته من العقائد والنّيات، وما أخفته الجوارح [من الأعمال]. والظاهر عموم «السرائر».

ولمّا كان الامتناع في الدنيا إمّا بقوة في الإنسان، وإمّا بناصر خارج نفسه، نفى عنه تعالى ما يمتنع به، وأتى بـ«مِن» الدّالة على العموم في نفي القوة والناصر.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾.

﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾ أقسم ثانياً بالسماء وهي المظلّة. ﴿ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ قال ابن عباس: «الرّجع» السحاب فيه المطر. و﴿ٱلصَّدْعِ﴾ ما تنصدع عنه الأرض من النبات.

والضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ عائد على الكلام الذي أخبر فيه ببعث الإنسان يوم

---

(١) ق: والظاهر.

القيامة وابتلاء سرائره. أي: إنّ ذلك لقول جزم مطابق للواقع لا هزل فيه. ويكون الضمير قد عاد على مذكور، وهو الكلام الذي تضمّن الإخبار عن البعث، وليس من الأخبار التي فيها هزل بل جدٌّ كلّه.

﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: الكافرين. ﴿يَكِيدُونَ﴾ أي: في إبطال أمر الله وإطفاء نور الحق.

﴿وَأَكِيدُ﴾ أي: أجازيهم على كيدهم، فسّمى الجزاء كيداً على سبيل المقابلة، نحو قوله ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران].

ثم أمر رسوله عليه السلام فقال ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: انتظر عقوبتهم ولا تستعجل ذلك. ثم أكّد أمره فقال ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ مصدر أَرْوَد يرود، مصغر تصغير الترخيم إذ أصله إرواداً. وقيل[١] هو تصغير رَوْدٍ، من قول الشاعر[٢]:

[من البسيط]

يكاد لا تَثْلِمُ[٣] البطحاءَ وطأتُه   كـأنـه ثَمِـلٌ يمشـي علـى رُوْدِ

أي: على مهل. وتستعمل مصدراً نحو: رويد عمروٍ، بالإضافة أي: إمهال عمرو. ونعتاً لمصدر نحو: ساروا سيراً رويداً. وحال نحو سار القوم رويداً. ويكون اسم فعل بمعنى أمهل، قال الشاعر[٤]: [من الطويل]

رُويدَ بني شيبانَ بعضَ وعيدكم   تُـلاقُـوا غـداً خيلـي علـى سَفَـوانِ

---

(١) ق: أو قيل.

(٢) البيت في القصائد السبع الطوال ص٤٠٣ غير منسوب، وهو في اللسان «رود» منسوب للجموح الظَّفري.

(٣) ق: تلثم.

(٤) البيت لودّاك بن سنان في شرح الحماسة١: ١٢٧ وشرح المفصل ٤: ٤١.

[٥٧٦/ب] سفوان: موضع. ونصب «بعض» برويد اسم الفعل. فسيحيط بهم العذاب كما كان في يوم بدر وغيره. لما كرّر الأمر توكيداً خالف بين اللفظين، على أن الأول مطلق والثاني مقيّد بقوله «رويدا».

مفردات سورة الطارق

طَرَقَ يَطْرُقُ طُرُوقاً: أَتَى ليلاً، قال امرؤ القيس:

ومِثْلِكِ حُبْلَى قد طَرَقْتُ ومُرْضِعاً[1]

وأصله: الضَّرْب؛ لأنَّ الطارقَ يَطرق البابَ، ومنه: المِطْرَقَة وهي المِيْقَعة، واتَّسع فيه، فكلُّ ما جاء بليلٍ يُسمَّى طارقاً، ويقال: أَطرق فلانٌ: أَمسكَ عن الكلام، وأَطرق بعينيه: رَمَى بهما نحوَ الأرض.

دَفَقَ الماءَ يَدْفُقُهُ دَفقاً: صَبَّه[2]، و«ماءٌ دافق» على النَّسَب، ويقال: دَفَقَ اللهُ روحَه: إذا دَعَا عليه بالموت.

التريبة: موضع القِلادة مِن الصَّدر، قال امرؤ القيس:

مُهَفْهَفَةٌ بيضاءُ غيرُ مُفاضَةٍ تَرائبُها مصقولةٌ كالسَّجَنْجَلِ[3]

---

(١) تفسير القرطبي ٢٠٢/٢٢، وصدر البيت في ديوان امرئ القيس ص١٢، وعجزه:

فألهيتها عن ذي تَمائمَ مُغْيِلِ

قال الشارح: مَن نصب مثلك، فعلى قوله: طرقت، ومن خَفَضه فعلى معنى: رُبَّ. والمغيل: المرضَع وأمّه حبلى، أو المرضَع وأمُّه تُجامَع.

(٢) ينظر تفسير القرطبي ٢٠٦/٢٢، والصحاح (دفق)، قال الأزهري في تهذيب اللغة ٣٩/٩: وقال الليث: يقال: دَفَق الماء دفوقاً ودفقاً: إذا انصبَّ، قلت: ولم أسمع دفقت الماء فدَفَق، لغير الليث. وينظر العين للخليل ١٢٠/٥.

(٣) تفسير القرطبي ٢٠٧/٢٢، والبيت في ديوان امرئ القيس ص١٥، قال النحاس في شرح المعلقات ٢٣/١: المهفهفة: الحسنة الخَلْق، ولا تكون مهفهفةً حتى تكون مع حُسن خَلْقها ضامرةَ الخاصرة، والمفاضة: المسترخية البطن، والسجنجل: المرآة، وقيل: الغضّة.

جَمَعها بما حولَها فقال: ترائبها، وقال الشاعر:

والـزَّعْـفَـرانُ عـلـى تَـرَائـبـهـا ... شَـرِقـت بـه الـلَّـبَّـاتُ والـنـحـرُ[(١)]

وقال أبو عبيدة: وجَمْع تَرِيْبَة: تَرِيبٌ، قال المُثقِّب العَبْدِي:

ومِـن ذَهَـبٍ يَـبِـيـنُ عـلـى تَـرِيـبٍ ... كـلـونِ الـعـاجِ لـيـس بـذي غُـضُـونِ[(٢)]

الهَزْل: ضِدُّ الجِدّ، وقال الكُمَيْت:

يَـجِـدُّ بـنـا فـي كـلِّ يـوم ويـهْـزِلُ[(٣)]

أَمهلتُ الرَّجُلَ: أَنْظَرْتُه، والمَهَلُ والمُهْلَة: السكينة، ومَهَّلْته أيضاً تمهيلاً وتمهَّل في أمره: اتَّأَد، واسْتَمْهلته: انتظرته، ويقال: مَهْلاً، أي: رِفْقاً وسُكُوناً[(٤)].

«رُوَيْداً» مصدر: أَرْوَدَ يُرْوِد، مصغّر تصغير الترخيم، إذ أصله: إرواد، وقيل: هو تصغير: رُوْد، مِن قوله:

يَـكـادُ لا يَـلـثـمُ الـبـطـحـاءَ وَطْـأَتُـهُ ... كـأَنَّـه ثَـمِـلٌ يَـمـشـي عـلـى رَوَدِ[(٥)]

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/٢٠٨، والبيت للمخبل كما في اللسان (شرق)، وهو دون نسبةٍ في معاني القرآن للفراء ٣/١٤٦، وتفسير الطبري ٢٢/٥٤٦ و٢٤/٢٩، وإعراب القرآن للنحاس ٤/٤٠١، ووقع في المصادر: شرقاً، وعند القرطبي: شَرِق، بدل: شرقت.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٥، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٠٩، وكلام أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٢/ ٥٢٣، والبيت في المفضليات ص٢٨٩، وتهذيب اللغة ١٤/ ٢٧٥، ومنتهى الطلب من أشعار العرب ٤/ ١٦.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢١٦، والبيت في هاشميات الكميت ص١٤٨، وصدره: أرنا على حبِّ الحياة وطولها. قال ابن زيد الأسدي الشارح: يقول: نحبُّ أن تطول حياتنا، ونحن كلَّ يومٍ نقرب إلى آجالنا.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢١٧، وينظر تهذيب اللغة ٦/ ٣٢١.

(٥) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢١٧-٢١٨، وينظر الصحاح (رود) مقتصرَين على عجز البيت، والبيت كاملاً في حروف المعاني للزجاجي (رويدا) دون نسبة، وأورده ابنُ منظور في اللسان (رود) هكذا:

تـكـاد لا تـلـثـم الـبـطـحـاء وطـأتُـهـا ... كـأنَّـهـا ثَـمِـلٌ يـمـشـي عـلـى رُود

=

أي: مَهَلٍ، ويُستعمل مصدراً نحو: رُوَيْدَ عَمْرٍو بالإضافة، أي: إمهال عمرو، كقوله: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤] ونَعْتاً لمصدرٍ نحو: سَاروا سَيْراً رُوَيداً، وحالاً: نحو سارَ القومُ رُويداً، ويكون اسمَ فِعْلٍ، وهذا كلّه موضَّح في عِلْم النَّحْو.

* * *

سورة الطارق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ① وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ② ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ③ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ
④ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ⑤ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ⑥ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ⑦ إِنَّهُۥ عَلَىٰ
رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ⑧ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ⑨ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ⑩ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ⑪ وَٱلْأَرْضِ
ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ⑫ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ⑬ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ⑭ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ⑮ وَأَكِيدُ كَيْدًا ⑯
فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ⑰﴾.

هذه السورة مكّيّة، ولمّا ذكرَ فيما قَبْلَها تكذيبَ الكفّار للقرآن، نَبَّهَ هنا على حقارة الإنسان، ثم استطرد منه إلى أنَّ هذا القرآن قولٌ فَصْلٌ جِدٌّ لا هَزْلَ فيه، ولا باطِل يأتيه، ثم أَمَرَ نبيَّه بإمهال أولئك الكَفَرة المكذِّبين، وهي آيةُ موادعةٍ منسوخةٌ بآية السيف.

«والسماء» هي المعروفة، قاله الجمهور، وقيل: السماء هنا المَطَر، «والطارق»: هو الآتي ليلاً، أي: يَظهر بالليل، وقيل: لأنَّه يَطرُق الجِنِّيَّ، أي: يَصكُّه، مِن: طرقتُ البابَ: إذا ضربتَه ليُفتحَ لَكَ.

= ونسبه للجموح الظَّفَري، وأورده أيضاً ابنُ قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص٤٢٣ برواية:
كأنها مثلُ من يمشي على رُودِ.
وأورده أيضاً الزمخشري في أساس البلاغة (رويد) وعزاه للهذلي، والرازي في التفسير ٣١/ ولم ينسبه.

أتى بالطارق مُقسَماً به وهي صفة مشتركة بين النَّجم الثاقِب وغيرِه، ثم فسَّره بقوله: «النجمُ الثاقب» إظهاراً لفخامة ما أقسم به، لِمَا علمَ فيه مِن عجيب القُدْرة ولطيفِ الحكمة وتنبيهاً على ذلك، كما قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٦].

وقال ابنُ عطيَّة: معنى الآية: «والسماء» وجَميع ما يَطرق فيه مِن الأمور والمخلوقات، ثم ذكرَ بَعْدَ ذلك على جهة التَّنبيه أَجَلَّ الطارقاتِ قَدْراً وهو «النجمُ الثاقِب»، وكأنَّه قال: «وما أدراكَ ما الطَّارق» حقُّ الطارق[١]. انتهى.

فعلى هذا يكون «النجمُ الثاقب» بعضاً ممَّا دلَّ عليه «والطارق»، إذ هو اسمُ جنسٍ يُراد به جميع الطوارق، وعلى قولِ غيره يُراد به واحدٌ مُفسَّر بالنجم الثاقب.

و«النجم الثاقب» عند ابنِ عباس: الجدي، وعند ابنِ زيد: زُحَل، وقال هو أيضاً وغيره: الثريا، وهو الذي تطلق عليه العربُ اسمَ النجم، وقال عليّ: نجمٌ في السماء السابعة لا يَسكنها غيرُه مِن النجوم، فإذا أَخذتِ النجومُ أمكنتها مِن السماء هَبَطَ فكان معها، ثم رَجَعَ إلى مكانه مِن السماء السابعة، فهو طارقٌ حين ينزل، وطارقٌ حين يصعد[٢].

وقال الحسن: هو اسمُ جنس؛ لأنَّها كلّها ثواقب، أي: ظاهرة الضوء[٣].

وقيل: المراد جنسُ النجوم التي يُرمَى بها ويُرجَم.

و«الثاقب»: قيل: المُضِيْء، يقال: ثَقَبَ يَثْقُبُ ثُقُوباً وثَقَابة: أضاءَ، أي: يَثقبُ الظلامَ بضوئه، وقيل: المرتفع العالي، ولذلك قيل: هو زُحَل؛ لأنَّه أَرْفعها مكاناً.

وقال الفرَّاء: ثَقَبَ الطائرُ: ارتفعَ وعلا[٤].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٤.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٠١، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٤٢٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٦٤-٤٦٥، وزاد المسير ٩/ ٨١، وأثَر ابن زيد عند الطبريّ ٢٤/ ٢٩٠.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٤.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٠١، وكلام الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٤٢٩.

وقرأ الجمهور: «إنْ» خفيفة «كلٌّ» رَفْعاً «لَمَا» خفيفة، فهي عند البصريِّين مخفَّفة مِن الثقيلة، و«كلّ» مبتدأ، واللام هي الدَّاخلة للفَرْق بين «إن» النافية و«إن» المخففة، و«ما» زائدة، و«حافظ» خبر المبتدأ، و«عليها» متعلِّق به، وعند الكوفيِّين: «إنْ» نافية واللام بمعنى «إلَّا»، و«ما» زائدة، و«كل» و«حافظ» مبتدأ وخبر، والترجيح بين المذهبين مذكورٌ في عِلْم النحو[١].

وقرأ الحسن والأعرج وقتادة وعاصم وابنُ عامر وحمزة وأبو عمرو ونافع بخلافٍ عنهما: «لمَّا» مشدَّدة[٢]، وهي بمعنى «إلَّا» لغة مشهورة في هُذَيل وغيرهم، تقول العرب: أَقسمتُ عليكَ لمَّا فعلتَ كذا، أي: إلَّا فعلت، قاله الأخفش[٣]، فعلى هذه القراءة يتعيَّن أنْ تكونَ نافيةً، أي: ما كلّ نفس إلَّا عليها حافظ.

وحكى هارون أنَّه قُرِئَ: «أنَّ» بالتشديد «كلَّ» بالنَّصب[٤]، فاللام هي الداخلة في خبر «أنّ»، و«ما» زائدة، و«حافظ» خبر «أنّ»، وجواب القَسَم هو ما دخلت عليه «إن» سواء كانت المخفَّفة أو المشدَّدة، أو النافية، لأنَّ كلًّا منها يتلقَّى به القَسَم، فتلقيه بالمشدَّدة مشهور، وبالمخفَّفة: ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ﴾ [الصافات: ٥٦] وبالنافية: ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا﴾ [فاطر: ٤١].

وقيل: جواب القَسَم «إنَّه على رجعه لقادر» وما بينهما اعتراض.

والظاهر عمومُ كلِّ نفس، وقال ابنُ سيرين وقتادة وغيرهما: «إنْ كلّ نفسٍ» مكلَّفةٍ «عليها حافظٌ» يُحصِي أعمالَها ويَعُدُّها؛ للجزاء عليها، فيكون في الآية وعيدٌ

---

(١) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٠٤-٢٠٥، والطبري ٢٤/ ٢٩٠، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٣١١، وإعراب القرآن للنحاس ٥/١٩٨، والحجة للفارسي ٦/ ٣٩٧.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٥، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٠٥، والقراءة في السبعة ص٦٧٨، والتيسير ص٢٢١، والنشر ٢/ ٢٩١ و٣٩٩.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٥، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٠٥.

(٤) القراءات الشاذة ص١٧١، والقراءة في زاد المسير ٩/ ٨١ ورسمت في مطبوعة بكسر همزة «إنَّ» وعزاها لأُبيّ بن كعب وأبي المتوكل.

وزجرٌ، وما بَعْدَ ذلك يدلُّ عليه[١]، وقيل: حَفَظة مِن الله يَذبُّون عنها، ولو وكل المرءُ إلى نفسه لاختطفته الغِيَر والشياطين[٢].

وقال الكلبيُّ والفرَّاء: «حافظٌ» مِن الله يَحفظها حتى يُسلِّمها إلى المقادير[٣].

وقيل: الحافظ: العقل يُرشِده إلى مصالحه ويَكفُّه عن مضارِّه، وقيل: «حافظ» مهيمنٌ رقيبٌ عليه، وهو اللهُ تعالى.

ولمَّا ذكرَ أنَّ كلَّ نفسٍ عليها حافظ أَتْبَعَ ذلك بوصيَّة الإنسان بالنَّظَر في أوَّل نَشْأَته الأولى حتى يَعلم أنَّ مَن أنشاهُ قادرٌ على إعادته وجزائِهِ فيعمل لذلك ولا يملي على حافظه إلا ما يسَّره في عاقبته.

و«مِمَّ خُلِقَ» استفهام، و«مِن» متعلِّقة بـ «خُلِقَ» والجملة في موضع نصب بـ: «فلينظر» وهي معلَّقة، وجوابُ الاستفهام ما بَعْدَهُ وهو «خُلِقَ مِن ماءٍ دافق» وهو مَنِيُّ الرَّجُل والمرأةِ لمَّا امتزجا في الرَّحِم واتَّحدا عبَّر عنهما بماءٍ، وهو مُفْرَد، و«دافق» قيل: هو بمعنى: مَدْفُوق، وهي قراءة زيد بنِ عليٍّ[٤]، وعند الخليل وسيبويه هو على النَّسَب كلابِن وتامِر، أي: ذي دَفْق[٥].

وعن ابنِ عباس: بمعنى: دافق لَزِج[٦]، وكأنَّه أطلقَ عليه وَصْفَه لا أنَّه موضوعٌ في اللغة لذلك، والدَّفْق: الصَّبُّ فِعْله متعدٍّ.

وقال ابنُ عطيَّة: والدَّفْق: دَفْعُ الماء بعضِه ببعضٍ تدفق الوادي والسَّيْل إذا جاء

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٥.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٠٥، وفي هذا المعنى حديث مرفوع أخرجه الطبراني في الكبير (٧٧٠٤)، وفي إسناده: عفير بن معدان، وهو ضعيف كما ذكر الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص١٨٣.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٠٥، وكلام الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٢٥٥.

(٤) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه السمين في الدر المصون ٩/ ٧٥٣.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٥.

(٦) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٠٦.

يَركبُ بعضه بعضاً، ويصحُّ أن يكون الماء دافقاً؛ لأنَّ بعضَه يَدفع بعضاً، فمنه «دافق» ومنه مدفوق[١]. انتهى.

وركبَ قوله هذا على تدفّق، وتَدفَّق لازمُ: دَفَقْتُه فتَدفَّق، نحو: كَسَرْتُه فتكسَّر، ودفق ليس في اللغة معناه ما فسّر مِن قوله: والدَّفْق: دُفعُ الماء بعضه ببعض، بل المحفوظ أنَّه الصَّبُّ[٢].

وقرأ الجمهور: «يَخرُج» مبنيًّا للفاعل «مِن بين الصُّلْب» بضمِّ الصاد وسكون اللام، وابنُ أبي عبلة وابنُ مقسم: مبنيًّا للمفعول[٣]، وهما وأهلُ مكَّة وعيسى: بضمِّ الصاد واللام[٤]، واليمانيُّ: بفتحهما، قال العَجَّاج:

في صَلَبٍ مِثْلِ العِنانِ المُؤْدَمِ[٥]

وتقدَّمت اللغاتُ في «الصُّلب» في سورة «النِّساء»[٦]، وأغربُها[٧]: صَالِب، كما قال:

تُنقَلُ مِن صالبٍ إلى رَحِمٍ[٨]

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٥.

(٢) سلفت الإشارة إليه قريباً.

(٣) القراءات الشاذة ص١٧١ عن اليماني.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٥، عن أهل مكَّة وعيسى، وهي في القراءات الشاذة ص١٧١ عن عيسى.

(٥) الكشاف ٤/ ٢٤١، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢١٠، وينظر القراءات الشاذة ص١٧١، والبيت في ديوان العجاج ص٢٨١، وقبله: ريًّا العظام فَعمةُ المخدَّم. قال شارح الديوان: الفَعْم: الممتلئ، والمخدَّم: موضع الخِدام، وهو الخلخال. وقال السيرافي في شرح أبيات إصلاح المنطق ص١٢٣: ريًّا: ليست بمهزولة تَبينُ عظامها، وصُلْبها مثل العنان نعمة واستواءً. والعنان المؤدم: الذي لم تُقشَر أَدَمتُه، فهو أَلينُ له، وقوله: في صَلَب، أي: مع صَلَب. وفي أساس البلاغة (عنن): امرأة معنَّنة، أي: مجدولة جَدْلَ العنان.

(٦) عند تفسير الآية (٢٣) منها.

(٧) في النسخ: وإعرابها. والمثبت من الدر المصون ٩/ ٧٥٤ وهو الصواب.

(٨) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢١٠، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٨-٤٥٩، وعجز البيت: إذا مضى عالَمٌ بَدَا طَبَقُ. وقبله:

=

قال قتادة والحسن: معناه: مِن بينِ صُلْب كلٍّ واحد مِن الرَّجُل والمرأةِ وتَرائبه. وقال سفيان وقتادة أيضاً: مِن بين صُلْب الرَّجُل وترائبِ المرأة(١)، وتقدَّم شَرْح «التَّرائِب» في المفردات.

وقال ابنُ عباس: موضع القِلادة، وعن ابنِ جبير: هي أضلاعُ الرجل التي أَسْفَل الصُّلب. وقيل: ما بينَ المَنْكِبينِ والصَّدْر، وقيل: هي التراقي، وعن معمر: هي عُصارة القلب، ومنه يكون الوَلَد، ونقل مكِّيّ عن ابنِ عباس أنَّ الترائبَ أطرافُ المرء؛ رِجْلاه ويَدَاه وعَيْناه، قال ابنُ عطيَّة: وفي هذه الأقوال تَحكُّم على اللغة(٢). انتهى.

«إنَّه» الضمير يعود على الخالق الدَّالّ عليه «خلقَ»، «على رَجْعِه» قال ابنُ عباس وقتادة: الضمير في «رَجْعه» عائد على الإنسان، أي: على رَدِّه حيًّا بعد موته، أي: مَن أنشأهُ أوَّلاً قادرٌ على بَعْثِه يومَ القيامة لا يُعجزه شيء.

وقال الضحاك: على ردِّه مِن الكِبَر إلى الشباب.

وقال عكرمة ومجاهد: الضمير عائد على الماء، أي: على ردِّ الماء في الإحليل، أو في الصُّلب.

وعلى هذا القول وقولِ الضحاك يكون العامل في «يومَ تُبلَى» مُضمَر، تقديره:

= وأنتَ لمَّا وُلِدْتَ أشرقت الأر ... ض وضاءت بنورك الأفقُ

والأبيات في المعاني الكبير لابن قتيبة ١/ ٥٥٧، والقراءات الشاذة ص١٧١-١٧٢، قالها العباس بن عبد المطلب يمدحُ رسولَ الله ﷺ، والبيتان الآنفان وردا ضمن خبر أخرجه الطبرانيُّ في الكبير (٤١٦٧)، والحاكم ٣/ ٣٢٨، والبيهقي في الدلائل ٥/ ٢٦٨. قال الحاكم: هذا حديث تفرَّد به رواته الأعراب عن آبائهم، وأمثالهم من الرواة لا يضعون. وقال ابن منظور في اللسان (صلب): أراد بالصالب الصُّلْب، وهو قليل الاستعمال. وقال ابن قتيبة: العالَم: القرن من الناس، وكذلك الطبق من الناس.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٥، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٠٩-٢١٠، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ٢٩٥-٢٩٦.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٥، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٠٧، والثعلبي ٦/ ٤٣٠-٤٣١، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ٢٩٢-٢٩٦.

اذكُر، وعلى قولِ ابنِ عباس ـ وهو الأظهر ـ فقال بعضُ النُّحاة: العامل «ناصر» مِن قوله: «ولا ناصر»، وهذا فاسدٌ؛ لأنَّ ما بَعْدَ الفاء لا يَعمل فيما قَبْلَها، وكذلك «ما» النافية لا يَعمل ما بَعْدَها فيما قَبْلَها على المشهور المنصور[(١)].

وقال آخرون ومنهم الزمخشريُّ: العامل «رجعه»[(٢)]، وردَّ بأنَّ فيه فَصْلاً بين الموصول ومتعلّقه وهو مِن تمام الصِّلَة، ولا يجوز.

وقال الحُذَّاق مِن النُّحاة: العامل فيه مُضمَر يدلُّ عليه المصدر، تقديره: يرجعه يومَ تُبلَى السرائر[(٣)].

قال ابنُ عطيَّة: وكلّ هذه الفِرَق فرَّت مِن أنْ يكون العاملُ «لقادر» لأنَّ ذلك يظهر منه تخصيصُ القُدْرة في ذلك اليوم وَحْدَه، وإذا تُؤمِّل المعنى وما يقتضيه فصيحُ كلامِ العرب جاز أَنْ يكون العامل: «لقادر»، وذلك أنَّه قال: «إنَّه على رَجعه لقادر» على الإطلاق أوّلاً وآخِراً وفي كلّ وقت، ثم ذَكَر تعالى وخصَّص مِن الأوقات الوقت الأهمَّ على الكفار؛ لأنَّه وقتُ الجزاءِ والوصولِ إلى العذاب ليَجتمع الناسُ إلى حَذَره والخوفِ منه[(٤)]. انتهى.

«تُبْلَى» قيل: تُختَبر، وقيل: تُعرَف وتُتصفَّح ويميَّز صالحُها مِن فاسدها، و«السرائر» ما أكنَّته القلوبُ مِن العقائد والنِّيَّات، وما أَخفته الجوارحُ من الأعمال، والظاهر عمومُ السرائر، وفي الحديث أنَّها التوحيد والصلاة والزكاة والغُسْل مِن الجنابة[(٥)]، وكأنَّ المذكورَ في الحديث أعظمُ السرائر، وسمع الحسن مَن ينشد:

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٦، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢١١، والنكت والعيون ٦/ ٢٤٧، وتفسير الثعلبي ٦/ ٤٣١، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٤/ ٢٩٧-٢٩٩.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٤١.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٦، والقائل بذلك ابنُ جنّيّ، وكلامه في كتابه الخصائص ٢/ ٤٠٢ و٣/ ٢٥٦.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٦.

(٥) المصدر السابق، والحديث وغيره صرَّح بها القرطبيُّ في تفسيره ٢٢/ ٢١٣ نقلاً عن المهدوي، منها أنَّه ﷺ قال: «ائتمن الله تعالى خلقه على أربع: على الصلاة، والصوم، =

سيَبقى لها في مُضْمَرِ القلبِ والحَشَا سريرةُ وُدٌّ يومَ تُبلَى السَّرائِرُ

فقال: ما أغفله عمَّا في «السماء والطارق»؟![1]، والبيت للأحوص.

ولمَّا كان الامتناعُ في الدنيا إمَّا بقوَّةٍ في الإنسان، وإمَّا بناصرٍ خارجٍ عن نفسه، نَفَى عنه تعالى ما يَمتنع به، وأتَى بـ: «مِن» الدَّالَّة على العموم في نفي القوَّة والناصِر.

«والسماء» أَقسم ثانياً بالسماء وهي المِظَلَّة، قيل: ويَحتمل أن يكون السَّحاب، «ذات الرَّجْع» قال ابنُ عبَّاس: الرَّجْع: السحاب فيه المَطَر، وقال الحسن: تَرجعُ بالرِّزق كلَّ عام. وقال ابنُ زيد: الرَّجْع مصدر: رجوعُ الشمسِ والقمر والكواكب مِن حالٍ إلى حالٍ، ومِن منزلةٍ إلى منزلة، تَذهب وتَرجع، وقيل: الرَّجْع: المطر، ومنه قول الهُذَليّ:

أبيضُ كالرَّجْعِ رَسُوبٌ إذا ما ثاخ في مُحْتَفَلٍ يختلي[2]

يَصِفُ سيفاً شَبهَّه بماءِ المطر في بياضِه وصفائه.

وسُمِّيَ رَجْعاً، كما سُمِّيَ أَوْباً[3]، قال الشاعر:

رَبَّاءُ شَمَّاءُ لا يأوِي لِقُلَّتِها إلَّا السَّحابُ وإلَّا الأَوْبُ والسَّبَلُ[4]

= والزكاة، والغُسْل، وهي السرائر التي يَختبرها الله عز وجل يوم القيامة». وهو عند البيهقي في الشعب (٢٧٥١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(١) الكشاف ٤/ ٢٤١، والبيت في ديوان الأحوص ص٨٤، وخزانة الأدب ٢/ ١٨.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٦، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢١٥، والنكت والعيون ٦/ ٢٤٨، والبيت في شرح ديوان الهذليين ٢/ ١٢، ومجاز القرآن ٢/ ٢٩٤، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٣١٢، والصحاح (رجع) و(ثوخ). قال شارح ديوان الهذليين: المحتفل: مُعظم الشيء، ومحتفل الوادي: معظمه، وثاخ وساخ واحد، أي: غاب، يختلي: يقطع، والرسوب: الذي إذا وقع غَمُضَ مكانه لسرعة قطعه. اهـ. وقال الجوهريُّ: ثاخت قدمه بالوحل تثوخ وتثيخ: خاضت وغابت فيه.

(٣) في النسخ عدا (يه): أرباً. والمثبت من (يه) وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢١٥.

(٤) الكشاف ٤/ ٢٤١، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢١٥، والبيت للمتنخل الهذلي من قصيدة في رثاء =

تسميةً بمصدَرَي: آبَ ورَجَع، تزعم العربُ أنَّ السحابَ يَحمل الماءَ مِن بحار الأرض، ثم يُرجِعه إلى الأرض، أو أرادوا التفاؤلَ فسمَّوه رَجْعاً وأَوْباً، ليَرجعَ ويَؤُوب.

وقيل: لأنَّ الله تعالى يُرجعه وقتاً فوقتاً، قالت الخنساء:

كالرَّجْع في المُدْجِنَةِ السَّارية[١]

وقيل: الرَّجع: الملائكة، سُمُّوا بذلك لرجوعهم بأعمال العباد، وقيل: السحاب.

والمشهور عندَ أهلِ اللغة وقول الجمهور أنَّ «الرَّجْعَ» هو المَطَر، و«الصَّدْع» ما تتصدَّع عنه الأرضُ مِن النبات، ويناسب قول مَن قال: «الرَّجْع» المَطَر.

وقال ابنُ زيد: ذات الانشقاق للنبات، وقال أيضاً: ذات الحرث، وقال مجاهد: «الصَّدْع» ما في الأرض مِن شعاب[٢] ولصاب[٣] وخَنْدَق وتَشقُّق بحَرْث وغيره، وهي أمورٌ فيها مُعتبر.

وعنه أيضاً: ذات الطُّرُق تصدعها المُشاة. وقيل: ذات الأموات لانصداعها عنهم للنشور[٤].

= ابنه، وهو في شرح ديوان الهذليين ٢/ ٣٧، وقوله: ربَّاء، هو صيغة مبالغة من ربأت الجبل: إذا صعدته، فيكون ربَّاء شمَّاءَ، كقولهم: طلَّاعُ أَنْجُدٍ، وهو مضاف إلى شماء، والمعنى: ربَّاءُ هضبةٍ شمَّاءَ. وقوله: لا يدنو لقلتها، أي: لرأسها، أي: لا يعلو هذه الهضبة من طولها إلا السحاب. والسَّبَل: المطر النازل. ينظر خزانة الأدب ٥/ ٣-٦.

(١) الكشاف ٤/ ٢٤٢، وعجز البيت في ديوان الخنساء ص١٤٧، وصدره: عطَّافُه أبيض ذو رونق. والمدجنة: سحابة لها ظلام؛ لكثافتها وقُرْبها من الأرض، يقال: هذا يوم دَجْنٍ، أي: يوم إلباس غيم، والدُّجُنَّة: الظُّلمة، والسارية: التي تسري ليلاً. ينظر شرح الحماسة للمرزوقي ١/ ٣٤٢.

(٢) في النسخ عدا (يه): شقاق. والمثبت من (يه) والمحرر الوجيز ٥/ ٤٦٦-٤٦٧.

(٣) اللِّصْب: مضيق الوادي، وجمعه: لُصُوب، ولِصَاب، واللِّصْب: شقٌّ في الجبل أضيق من اللِّهْب وأوسع من الشِّعْب. لسان العرب (لصب).

(٤) النكت والعيون ٦/ ٢٤٩، وتنظر الآثار السالفة عند الطبريّ ٢٤/ ٣٠٤-٣٠٦.

والضمير في «إنَّه» قالوا عائدٌ على القرآن، «فَصْلٌ» أي: فاصل ما بين الحقِّ والباطل، كما قيل له: فرقان.

وأقول: ويجوز أنْ يعودَ الضمير في «إنَّه» على الكلام الذي أخبر فيه ببَعْث الإنسان يومَ القيامة وابتلاءِ سرائره، أي: إنّ ذلك «لَقولٌ» جَزْمٌ مطابِق للواقع لا هزلَ فيه، ويكون الضمير قد عادَ على مذكور، وهو الكلام الذي تضمَّن الإخبار عن البَعْث، وليس مِن الأخبار التي فيها هزل، بل هو جِدٌّ كلُّه.

«إنَّهم» أي: الكافرون «يَكيدون» أي: في إبطال أَمْرِ الله وإطفاءِ نُور الحقّ «وأَكِيْدُ» أي: أُجازيهم على كَيْدِهم بسيِّئ الجزاءَ «كَيْداً» على سبيل المقابلة، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ * ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤-١٥].

ثم أَمَرَ رسولَه ﷺ فقال: «فمهِّل الكافرين» أي: انْتَظِر عقوبتَهم ولا تستعجل ذلك، ثم أكَّد أمرَه، فقال: «أَمْهِلْهم رويداً» أي: إمهالاً يسيراً، فسيحيط العذاب بهم كما كان في يومِ بدر وغيره.

وقرأ الجمهور: «أمهلهم»[1] لمَّا كرَّر الأَمْرَ توكيداً خالفَ بين اللَّفظين، على أنَّ الأوَّل مُطلَق، وهذا الثاني مُقيَّد بقوله: «رويداً».

وقرأ ابنُ عباس: «مَهِّلْهُم» بفتح الميم وشدِّ الهاء[2]؛ موافقةً لِلَفظِ الأَمْرِ الأوَّل.

(١) زيادة من (يه) ولم ترد في بقيّة النسخ.

(٢) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه الآلوسيّ في روح المعاني ٢٨/ ٤٥٩.

(٨٦) سورة الطارق مكية
وآياتها سبع عشرة

روى النسائي عن جابر بن عبدالله قال: صلى معاذ المغرب فقرأ البقرة والنساء ، فقال النبي ﷺ: «أفتان أنت يا معاذ؟ ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق، والشمس وضحاها ونحوها؟»[1] .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾
فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ
لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾

يقسم تبارك وتعالى بالسماء ، وما جعل فيها من الكواكب النيرة، ولهذا قال تعالى: ﴿والسماء والطارق﴾، ثم قال: ﴿وما أدراك ما الطارق﴾، ثم فسَّره بقوله: ﴿النجم الثاقب﴾ . قال قتادة وغيره: إنما سمي النجم طارقاً لأنه إنما يرى بالليل ويختفي بالنهار، ويؤيده ما جاء في الحديث: «إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن» . وقوله تعالى: ﴿الثاقب﴾ قال ابن عباس: المضيء، وقال السدي: يثقب الشياطين إذا أرسل عليها، وقال عكرمة: هو مضيء ومحرق للشيطان، وقوله تعالى: ﴿إن كل نفس لمّا عليها حافظ﴾ أي كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات ، كما قال تعالى: ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾ ، وقوله تعالى : ﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾ تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه، وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد، لأن من قدر على البداءة ، فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى، كما قال تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾، وقوله تعالى: ﴿خلق من ماء دافق﴾ يعني المني يخرج دفقاً من الرجل ومن المرأة، فيتولد منهما الولد بإذن الله عزَّ وجلَّ، ولهذا قال: ﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ يعني صلب الرجل وترائب المرأة وهو (صدرها)، وقال ابن عباس: صلب الرجل وترائب المرأة أصفر رقيق لا يكون الولد إلا منهما، وعنه قال: هذه

---

(١) أخرجه النسائي .

الترائب ووضع يده على صدره، وعن مجاهد: الترائب ما بين المنكبين إلى الصدر، وعنه أيضاً: الترائب أسفل من التراقي، وقال الثوري: فوق الثديين، وقال قتادة: ﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ من بين صلبه ونحره، وقوله تعالى: ﴿إنه على رجعه لقادر﴾ فيه قولان: (**أحدهما**) : على رجع هذا الماء الدافق إلى مقره الذي خرج منه لقادر على ذلك، قاله مجاهد وعكرمة وغيرهما . (**الثاني**) : إنه على رجع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق، أي إعادته وبعثه إلى الدار الآخرة لقادر، قال الضحاك واختاره ابن جرير، ولهذا قال تعالى: ﴿يوم تبلى السرائر﴾ أي يوم القيامة تبلى فيه السرائر أي تظهر وتبدو، ويبقى السر علانية والمكنون مشهوراً، وقوله تعالى: ﴿فماله﴾ أي الإنسان يوم القيامة ﴿من قوة﴾ أي في نفسه، ﴿ولا ناصر﴾ أي من خارج منه، أي لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله، ولا يستطيع له أحد ذلك .

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾

قال ابن عباس: الرجع المطر، وعنه: هو السحاب فيه المطر، وقال قتادة: ترجع رزق العباد كل عام، ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم، ﴿والأرض ذات الصدع﴾ قال ابن عباس: هو انصداعها عن النبات[1]، وقوله تعالى: ﴿إنه لقول فصل﴾ قال ابن عباس: حق، وقال غيره: حكم عدل، ﴿وما هو بالهزل﴾ أي بل هو جد حق، ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذبون به، ويصدون عن سبيله فقال: ﴿إنهم يكيدون كيداً﴾ أي يمكرون بالناس، في دعوتهم إلى خلاف القرآن، ثم قال تعالى: ﴿فمهل الكافرين﴾ أي أنظرهم ولا تستعجل لهم، ﴿أمهلهم رويداً﴾ أي قليلاً وسترى ماذا أحل بهم، من العذاب والنكال، والعقوبة والهلاك كما قال تعالى: ﴿نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ﴾ .

[آخر تفسير سورة الطارق ، ولله الحمد والمنة]

* * *

(١) وهو قول ابن جرير وعكرمة والضحاك والحسن وقتادة والسدي وغيرهم .

تفسير سورة الطارق

وهى مكية .

قال عبد الله ابن الإمام أحمد : حدثنا أبى ، حدثنا عبد الله بن محمد ــ قال : عبد الله وسمعته أنا منه ــ حدثنا مروان بن معاوية الفزارى ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفى ، عن عبد الرحمن ابن خالد بن أبى جَبَل [١] العُدْوانى ، عن أبيه : أنه أبصر رسول الله ﷺ فى مُشرّق ثَقيف وهو قائم على قوس ــ أو : عصا ــ حين أتاهم يبتغى عندهم النصر ، فسمعته يقول : ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴾ ، حتى ختمها ــ قال : فوعيتها فى الجاهلية وأنا مشرك ، ثم قرأتها فى الإسلام ــ قال : فدعتنى ثقيف فقالوا: ماذا سمعت [٢] من هذا الرجل ؟ فقرأتها عليهم ، فقال من معهم من قريش : نحن أعلم بصاحبنا ، لو كنا نعلم ما يقول حقا لاتبعناه [٣] .

وقال النسائى : حدثنا عمرو بن منصور ، حدثنا أبو نعيم ، عن مسْعَر ، عن محارب بن دِثَار ، عن جابر قال : صلى معاذ المغرب ، فقرأ البقرة والنساء ، فقال النبى ﷺ : « أفتان يا معاذ ؟ ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق ، والشمس وضحاها ، ونحو هذا ؟ » [٤] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ (١٠) ﴾ .

يقسم [٥] تعالى بالسماء وما جعل فيها من الكواكب النيرة ؛ ولهذا قال : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴾ ثم قال : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴾ ، ثم فسره بقوله : ﴿ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ .

قال قتادة وغيره : إنما سمى النجم طارقا ؛ لأنه إنما يرى بالليل ويختفى بالنهار . ويؤيده ما جاء فى الحديث الصحيح : نهى أن يطرق الرجل أهله طروقا [٦] ، أى : يأتيهم فجأة بالليل . وفى

---

(١) فى أ : « جهل » .

(٢) فى م : « ما سمعت » .

(٣) المسند (٤/ ٣٣٥) وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٣٦) : « عبد الرحمن ذكره ابن أبى حاتم ولم يخرجه أحد وبقية رجاله ثقات » .

(٤) سنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٦٤) .

(٥) فى أ : « أقسم » .

(٦) رواه البخارى فى صحيحه برقم (٥٢٤٣) من حديث جابر ، رضى الله عنه .

الحديث الآخر المشتمل على الدعاء : « إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن » [١] .

وقوله : ﴿ الثَّاقِبُ ﴾ : قال ابن عباس : المضيء . وقال السدى : يثقب الشياطين إذا أرسل عليها . وقال عكرمة : هو مضيء ومحرق للشيطان .

وقوله : ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ أى : كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات ، كما قال تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ الآية [الرعد:١١] .

وقوله : ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ : تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذى خُلق منه ، وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد ؛ لأن من قدر على البَدَاءة فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى ، كما قال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم:٢٧] .

وقوله : ﴿ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ يعنى : المنى ؛ يخرج دَفقاً من الرجل ومن المرأة ، فيتولد منهما الولد بإذن الله ، عز وجل[٢] ؛ ولهذا قال : ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ يعنى : صلب الرجل وترائب المرأة ، وهو صدرها .

قال شبيب بن بشر ، عن عكْرِمة ، عن ابن عباس : ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ : صلب الرجل وترائب المرأة ، أصفر رقيق ، لا يكون الولد إلا منهما . وكذا قال سعيد بن جُبَير ، وعكرمة ، وقتادة والسُّدِّى ، وغيرهم .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن مِسْعَر : سمعت الحكم ذكر عن ابن عباس: ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ قال: هذه الترائب. ووضع يده على صدره.

وقال الضحاك وعطية ، عن ابن عباس : تَريبة المرأة موضِعُ القلادة . وكذا قال عكرمة ، وسعيد ابن جُبَير . وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : الترائب : بين ثدييها .

وعن مجاهد : الترائب ما بين المنكبين إلى الصدر . وعنه أيضا : الترائب أسفل من التراقى .

وقال سفيان الثورى : فوق الثديين . وعن سعيد بن جُبَير : الترائب أربعة أضلاع من هذا الجانب الأسفل .

وعن الضحاك : الترائب بين الثديين والرجلين والعينين .

وقال الليث بن سعد عن مَعْمَر بن أبى حبيبة [٣] المدنى : أنه بلغه فى قول الله عز وجل : ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ قال : هو عصارة القلب ، من هناك يكون الولد .

وعن قتادة : ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ : من بين صلبه ونحره .

وقوله : ﴿ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾ ، فيه قولان :

أحدهما : على رجع هذا الماء الدافق إلى مقره الذى خرج منه لقادر على ذلك . قاله مجاهد ،

(١) رواه الإمام أحمد فى المسند (٣/ ٤١٩) من حديث عبد الرحمن بن خنبش ، رضى الله عنه .

(٢) فى أ : « بإذن الله تعالى » . (٣) فى أ : « حبة » .

وعكرمة ، وغيرهما .

والقول الثانى : إنه على رجع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق ، أى : إعادته وبعثه إلى الدار الآخرة لقادر ؛ لأن من قدر على البدء قدر على الإعادة .

وقد ذكر الله ،عز وجل ،هذا الدليل فى القرآن فى غير ما موضع،وهذا القول قال به الضحاك، واختاره ابن جرير ، ولهذا قال : ﴿ **يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ** ﴾ أى : يوم القيامة تبلى فيه السرائر، أى : تظهر وتبدو ، ويبقى السر علانية والمكنون مشهورا .وقد ثبت فى الصحيحين ، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال :« يرفع لكل غادر لواء عند استه [(١)] ، يقال : هذه غَدْرَةُ فلان بن فلان » [(٢)].

وقوله : ﴿ **فَمَا لَهُ** ﴾ أى : الإنسان يوم القيامة ﴿ **مِن قُوَّةٍ** ﴾ أى : فى نفسه ﴿ **وَلا نَاصِرٍ** ﴾ أى : من خارج منه ، أى : لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله ، ولا يستطيع له أحد ذلك .

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (١٧) ﴾ .

قال ابن عباس : الرجع : المطر . وعنه : هو السحاب فيه المطر . وعنه : ﴿ **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ** ﴾ : تمطر ثم تمطر.

وقال قتادة : ترجع رزق العباد كل عام ، ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم .

وقال ابن زيد : ترجع نجومها وشمسها وقمرها ، يأتين من هاهنا .

﴿ **وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ** ﴾ : قال ابن عباس : هو انصداعها عن النبات . وكذا قال سعيد بن جُبَير، وعكرمة ،وأبو مالك ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، والسدى ، وغير واحد .

وقوله : ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ** ﴾ : قال ابن عباس : حق . وكذا قال قتادة .

وقال آخر : حكم عدل .

﴿ **وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ** ﴾ أى : بل هو حق جد .

ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذبون به ويصدون عن سبيله ، فقال : ﴿ **إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا** ﴾ أى: يمكرون بالناس فى دعوتهم إلى خلاف القرآن .

ثم قال : ﴿ **فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ** ﴾ أى : أنظرهم ولا تستعجل لهم ، ﴿ **أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا** ﴾ أى : قليلا . أى : وترى ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك ، كما قال : ﴿ **نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ** ﴾ [لقمان: ٢٤] .

آخر تفسير سورة « الطارق » ولله الحمد [(٣)]

(١) فى أ : « عند رأسه » .

(٢) صحيح البخارى برقم (٣١٨٨) وصحيح مسلم برقم (١٧٣٥) .

(٣) فى أ : « والله أعلم » .

[تفسير] سورة الطارق

[وهي مكية]

قال عبد اللّٰه بن الإمام أحمد[1] : حدثنا أبي ، حدثنا عبد اللّٰه بن محمد - قال : عبد اللّٰه وسمعته أنا منه - حدثنا مروان بن معاوية الفزاري ، عن عبد اللّٰه بن عبد الرحمن الطائفي ، عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي جبل العدواني ، عن أبيه ، أنه أبصر رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في مشرق ثقيف وهو قائم علىٰ قوس - أو : عصىً - حين أتاهم يبتغي عندهم النصر ، فسمعته يقول : ﴿ والسماء والطارق ﴾ ، حتىٰ ختمها - قال : فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك ، ثم قرأتها في الإسلام - قال : فدعتني ثقيف فقالوا : ماذا سمعت من هذا الرجل ؟ فقرأتها عليهم ، فقال من معهم من قريش : نحن أعلم بصاحبنا ، لو كنا نعلم ما يقول حقًّا لاتبعناه .

وقال النسائي[2] : حدثنا عمرو بن منصور ، حدثنا أبو نعيم ، عن مسعر ، عن محارب بن دثار ، عن جابر قال : صلىٰ معاذ المغرب ، فقرأ البقرة والنساء ، فقال النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - : « **أفتان يا معاذ ؟ ! ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق ، والشمس وضحاها ، ونحو هذا !** » .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾

يقسم تعالىٰ بالسماء وما جعل فيها من الكواكب النيرة ؛ ولهذا قال : ﴿ **والسماء والطارق** ﴾ ، ثم قال : ﴿ **وما أدراك ما الطارق** ﴾ ، ثم فسره بقوله : ﴿ **النجم الثاقب** ﴾ .

قال قتادة وغيره : إنما سمىٰ النجم طارقًا ، لأنه إنما يرىٰ بالليل ويختفي بالنهار . ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح : نهي أن يطرق الرجل أهله طروقًا[3] . أي : يأتيهم فجأة بالليل .

---

(١) زوائد المسند (٣٣٥/٤) (١٩٠١١) .

(٢) سنن النسائي ، كتاب : التفسير ، باب : سورة الطارق ، حديث (١١٦٦٤) (٥١٢/٦) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب : النكاح ، باب : لا يطرق أهله ليلًا إذا أطال الغيبة ...، حديث (٥٢٤٣) (٩/

وفي الحديث الآخر المشتمل على الدعاء : « **إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن** »(٤) . وقوله : ﴿ **الثاقب** ﴾ ، قال ابن عباس : المضيء . وقال السدي : يثقب الشياطين إذا أرسل عليها . وقال عكرمة : هو مضيء ومحرق للشيطان .

وقوله : ﴿ **إن كل نفس لما عليها حافظ** ﴾ ، أي : كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات ، كما قال تعالى : ﴿ **له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله** ...﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **فلينظر الإنسان مم خلق** ﴾ : تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه ، وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد ؛ لأن من قدر على البداءة فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى ، كما قال : ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ .

وقوله : ﴿ **خلق من ماء دافق** ﴾ ، يعني المني ، يخرج دفقًا من الرجل ومن المرأة ، فيتولد منهما الولد بإذن الله - عز وجل - ولهذا قال : ﴿ **يخرج من بين الصلب والترائب** ﴾ ، يعني صلب الرجل وترائب المرأة ، وهو صدرها .

قال شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **يخرج من بين الصلب والترائب** ﴾ : صلب الرجل وترائب المرأة ، أصفر رقيق ، لا يكون الولد إلا منهما . وكذا قال سعيد بن جبير ، وعكرمة ، وقتادة والسدي ، وغيرهم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن مسعر : سمعت الحكم ذكر عن ابن عباس : ﴿ **يخرج من بين الصلب والترائب** ﴾ ، قال : هذه الترائب . ووضع يده علي صدره .

وقال الضحاك وعطية ، عن ابن عباس : تريبة[١] المرأة : موضع القلادة . وكذا قال عكرمة

---

٣٣٩) . وطرفه في [١٨٠١] . ومسلم في كتاب : الإمارة ، باب : كراهية الطروق ، حديث (١٨٢ ، ٧١٥/١٨٣) (١٠٦/١٣ ، ١٠٧) . كلاهما من حديث جابر - رضي الله عنه - .

(٤) أخرجه أحمد (٤١٩/٣) (١٥٥٠١) . وأبو يعلى (٢٣٧/١٢ - ٢٣٨) (٦٨٤٤) . كلاهما من حديث عبد الرحمن بن خنبش في حديث طويل . وأخرجه مالك في كتاب : الشعر ، باب : ما يؤمر به من التعوذ ، حديث (١٠) (٧٢٥/٢) عن يحيى بن سعيد مرسلًا بنحو حديث عبد الرحمن . قال البخاري : في إسناده نظر ، وقال البزار بعد تخريجه : لم يرو عبد الرحمن غيره فيما أعلم . وقال ابن حبان : له صحبة ، وأخرج الحديث المذكور ابن أبي شيبة ، والحسن بن سفيان ، وأبو زرعة الرازي في مسانيدهم من طريق أبي التياح . وقال البغوي : سكن البصرة . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني بنحوه ، ورجال أحد إسنادي أحمد وأبي يعلى وبعض أسانيد الطبراني رجال الصحيح .

---

[١] - في خ : تربية .

وسعيد بن جبير .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : الترائب : بين ثدييها .

وعن مجاهد : الترائب ما بين المنكبين إلى الصدر . وعنه أيضًا . الترائب أسفل من التراقي .

وقال سفيان الثوري : فوق الثديين . وعن سعيد بن جبير : الترائب أربعة أضلاع من هذا الجانب الأسفل .

وعن الضحاك : الترائب بين الثديين والرجلين والعينين .

وقال الليث بن سعد ، عن معمر بن أبي حبيبة المدني : أنه بلغه في قول الله عز وجل : ﴿ **يخرج من بين الصلب والترائب** ﴾ ، [قال : هو عصارة القلب ، من هناك يكون الولد .

وعن قتادة : ﴿ **يخرج من بين الصلب والترائب** ﴾][١] من بين صلبه ونحره .

وقوله : ﴿**إنه على رجعه لقادر**﴾ فيه قولان :

أحدهما : علىٰ رجع هذا الماء الدافق إلىٰ مقره الذي خرج منه لقادر علىٰ ذلك . قاله مجاهد ، وعكرمة ، وغيرهما .

والقول الثاني : إنه علىٰ رجع هذا الإِنسان المخلوق من ماء دافق ، أي : إعادته وبعثه إلىٰ الدار الآخرة لقادر ؛ لأن من قدر علىٰ البداءة قدر علىٰ الإِعادة .

وقد ذكر الله - عز وجل - هذا الدليل في القرآن في غير ما موضع ، وهذا القول قال به الضحاك ، واختاره ابن جرير ، ولهذا قال : ﴿ **يوم تبلىٰ السرائر** ﴾ ، أي : يوم القيامة تبلىٰ فيه السرائر ، أي : تظهر وتبدو ، ويبقىٰ السر علانية والمكنون مشهورًا .

وقد ثبت في الصحيحين(٥) ؛ عن ابن عمر : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **يرفع لكل غادر لواء عند استه ، يقال : هذه غدرة فلان بن فلان** » .

وقوله : ﴿ **فما له** ﴾ أي : الإِنسان يوم القيامة ﴿ **من قوة** ﴾ ، أي : في نفسه ، ﴿ **ولا ناصر** ﴾ ، أي : من خارج منه ، أي : لا يقدر علىٰ أن ينقذ نفسه من عذاب الله[٢] ، ولا يستطيع له أحد ذلك .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب : الأدب ، باب : ما يدعى الناس بآبائهم ، حديث (٦١٧٧ ، ٦١٧٨) (١٠/ ٥٦٣) . ومسلم في كتاب : الجهاد والسير ، باب : تحريم الغدر ، حديث (١٧٣٥) (١٢/٦٢ - ٦٤) .

[١] - سقط من ز . [٢] - سقط من ز .

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾

قال ابن عباس: الرجع: المطر. وعنه هو السحاب فيه المطر. وعنه: ﴿**والسماء ذات الرجع**﴾ تمطر ثم تمطر.

وقال قتادة: ترجع رزق العباد كل عام، ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم وقال ابن زيد: ترجع نجومها وشمسها وقمرها، يأتين[١] من هاهنا. ﴿**والأرض ذات الصدع**﴾، قال ابن عباس: هو انصداعها عن النبات. وكذا قال سعيد بن جبير، وعكرمة، وأبو مالك، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي، وغير واحد.

وقوله: ﴿**إنه لقول فصل**﴾ قال ابن عباس: حق. وكذا قال قتادة. وقال آخر: حكم عدل.

﴿**وما هو بالهزل**﴾، أي: بل هو حق جد.

ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذبون به ويصدون عن سبيله، فقال: ﴿**إنهم يكيدون كيدًا**﴾، أي: يمكرون بالناس في دعوتهم إلىٰ خلاف القرآن.

ثم قال: ﴿**فمهل الكافرين**﴾ أي أنظرهم ولا تستعجل لهم، ﴿**أمهلهم رويدًا**﴾ أي: قليلًا. أي: وترىٰ ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك، كما قال: ﴿**نمتعهم قليلًا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ**﴾.

[آخر تفسير سورة الطارق، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة].

☆ ☆ ☆

[١] - في خ: نابتين.

سورة الطارق

مكيّة، وهي سبع وعشرون[1] آيةً.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ۝١٠﴾

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ الطارق في الأصل اسم فاعل مِن طَرَق طَرْقًا وطروقًا إذا جاء ليلًا، قال الماوَردي: «وأصل الطرق الدقّ، ومنه سُمِّيت المِطرَقة، وإنّما سُمّي قاصد الليل طارقًا لاحتياجه إلى طَرْق الباب غالبًا»،[2] ثمّ اتُّسع في كلّ ما ظهَر بالليل كائنًا ما كان، ثمّ أشبع في التوسّع حتّى أُطلِق على الصوَر الخياليّة الباديةِ بالليل، قال:

طَـرَق الـخـيـالُ ولا كليلة مُـدلِـجٍ   سَـدِكًـا بـأرحـلـنـا ولـم يـتـعـرَّجِ[3]

والمراد ههنا الكوكبُ البادي بالليل، إمّا على أنّه اسم جنس أو كوكب معهود. وقيل: الطارق: النجم الذي يقال له: كوكبُ الصبح.[4]

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾ تنويه بشأنه إثر تفخيمه بالإقسام به، وتنبيهٌ على أنّ رِفعة قدره بحيث لا ينالها إدراك الخلق، فلا بدّ مِن تلقّيها مِن الخلّاق العليم، فـ﴿مَا﴾ الأولى مبتدأ و﴿أَدۡرَىٰكَ﴾ خبرٌ، والثانية خبرٌ و﴿ٱلطَّارِقُ﴾ مبتدأ، حسبما بيّن في نظائره، أي: وأيُّ شيء أعلمك ما الطارق؟

---

١ س: سبع عشرة. | وهو الصحيح، وما في م سهو.

٢ النكت والعيون للماوردي، ٦/٢٤٥؛ ونقله عنه ابن عادل في اللباب، ٢٠/٢٦٠.

٣ البيت للحارث بن حِلِّزة في ديوانه، ص ١٠٧؛ وهو له في المفضّليّات للضّبّي، ص ٢٥٥؛ ومفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٢٩٨.

٤ القول في اللباب لابن عادل، ٢٠/٢٦٠؛ ونقله عن الصحاح للجوهري، «طرق».

[٢٨٩و] وقوله تعالى: / ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ خبرُ مبتدأ محذوف، والجملة استئنافٌ وقع جوابًا عن استفهام نشأ عمّا قبله، كأنّه قيل: ما هو؟ فقيل: هو النجم المضيء في الغاية، كأنّه يثقب الظلام أو الأفلاكَ بضوئه وينفذ فيها، والمراد به إمّا الجنس -فإنّ لكلّ كوكبٍ ضوءًا ثاقبًا لا محالةَ- وإمّا كوكب معهود.

قيل: هو زُحَل.[١] وقيل: هو الثُّريّا.[٢] وقيل: هو الجَدْي.[٣] وقيل: ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾: نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيرُه، فإذا أخذت النجوم أمكنتها مِن السماء هَبَط فكان معها، ثمّ يرجع إلى مكانه مِن السماء السابعة، وهو زُحَل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد.[٤]

وفي إيراده عند الإقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره، ثمّ الإشارةِ إلى أنّ ذلك الوصف غيرُ كاشف عن كُنه أمره وأنّ ذلك ممّا لا يبلغه أفكار الخلائق، ثمّ تفسيرِه بـ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾، مِن تفخيم شأنه وإجلال محلّه ما لا يخفى.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾ جواب للقسم وما بينهما اعتراض جيء به لِما ذُكر مِن تأكيد فخامة المقسَم به المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسَم عليها، و﴿إِن﴾ نافية، و﴿لَّمَّا﴾ بمعنى "إلّا"، أي: ما كلّ نفس إلّا عليها حافظ مُهيمِن رقيب وهو الله عزّ وجلّ، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ [الأحزاب، ٥٢/٣٣]. وقيل: هو مَن يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب مِن خير وشرّ،[٥] كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۞ كِرَامٗا﴾ الآية [الانفطار، ٨٢/١٠-١١]، وقولِه تعالى: ﴿وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً﴾ [الأنعام، ٦١/٦]، وقولِه تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ﴾ [الرعد، ١١/١٣].

---

١ مرويّ عن محمّد بن الحسين في اللباب لابن عادل، ٢٦٠/٢٠؛ وبلا عزو في معالم التنزيل للبغوي، ٣٩٣/٨.

٢ مرويّ عن ابن زيد في معالم التنزيل للبغوي، ٣٩٣/٨؛ واللباب لابن عادل، ٢٦٠/٢٠.

٣ مرويّ عن ابن عبّاس في اللباب لابن عادل، ٢٦٠/٢٠.

٤ مرويّ عن عليّ بن أبي طالب في اللباب لابن عادل، ٢٦٠/٢٠.

٥ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٥٥١/٤.

وقُرئ: "لَمَا"[١] مخفَّفة على أنّ "إنْ" مخفَّفة مِن الثقيلة، واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف، و"اللام" هي الفارقة و"ما" مزيدة، أي: إنّ الشأن كلُّ نفس لَعَلَيْها حافظٌ.

و"الفاء" في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ للتنبيه على أنّ ما بُيِّن مِن أنّ كلّ نفس عليها حافظ يحصي عليها كلَّ ما يصدر عنها مِن قول وفعل، مستوجبٌ على الإنسان أن يتفكّر في مبدأ فطرته حقَّ التفكّر، حتّى يتَّضح له أنّ مَن قدر على إنشائه مِن موادّ لم تشَمَّ رائحة الحياة قطّ فهو قادر على إعادته؛ بل أقدرُ على قياس العقل، فيعملَ ليوم الإعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويُجديه ولا يملي على حافظه / ما يُرديه. [٢٨٩ظ]

وقوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ استئناف وقع جوابًا عن استفهام مقدَّر كأنّه قيل: مِمّ خُلق؟ فقيل: خُلق مِن ماء ذي دَفْق: وهو صبٌّ فيه دَفْع وسيَلان بسرعة، والمراد به الممتزِج مِن الماءين في الرَّحِم، كما ينبئ عنه قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ أي: صُلب الرجل وترائب المرأة: وهي عِظام صدرها.

قالوا: إنّ النطفة تتولّد مِن فضل الهضم الرابع، وينفصل عن جميع الأعضاء حتّى يستعدّ لأنْ يتولّد منها مِثلُ تلك الأعضاء، ومقرّها عروق ملتفٌّ بعضُها بالبعض عند البيضتين، فالدماغُ أعظم الأعضاء معونةً في توليدها، ولذلك يُشْبِهُه ويُورث الإفراطُ في الجماع الضعفَ فيه، وله خليفة هي النُّخاع وهو في الصُّلب وشُعَب كثيرة نازلة إلى الترائب، وهما أقربُ إلى أوعية المَنيّ، فلذلك خُصَّا بالذِّكر.[٢]

وقُرئ: "الصَّلَبِ"[٣] بفتحتين، و"الصُّلُبِ"[٤] بضمّتين، وفيه لغة رابعة هي "صالب".

---

[١] قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب وخلف. النشر لابن الجزري، ٢/٢٩١، ٣٩٩.

[٢] الكلام في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٥٢٢.

[٣] قراءة شاذّة، مرويّة عن اليماني. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٧٢.

[٤] قراءة شاذّة، مرويّة عن عيسى بن عمر. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٧٢.

﴿إِنَّهُۥ﴾ الضمير للخالق تعالى، فإنّ قوله تعالى: ﴿خُلِقَ﴾ يدلّ عليه، أي: إنّ ذلك الذي خَلَقه ابتداءً ممّا ذُكر ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِۦ﴾ أي:[١] إعادته بعد موته ﴿لَقَادِرٌ﴾ لَبيِّنُ القدرة.

﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ أي: يُتعرَّف ويُتصفَّح ما أُسرَّ في القلوب مِن العقائد والنيّات وغيرها، وما أُخفيَ مِن الأعمال ويُميَّزُ بين ما طاب منها وخبُث. وهو ظرف لـ﴿رَجْعِهِۦ﴾.

﴿فَمَا لَهُۥ﴾ أي: للإنسان ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ في نفسه يمتنع بها ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ ينتصر به.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ أي: المطر، سُمّي رَجْعًا لِما أنّ العرب كانوا يزعمون أنّ السحاب يحمل الماء مِن بحار الأرض ثمّ يرجعه إلى الأرض، أو أرادوا بذلك التفاؤل ليَرجع، ولذلك سمّوه أَوْبًا، أو لأنّ الله تعالى يرجعه حينًا فحينًا.

﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ هو ما يتصدَّع عنه الأرض مِن النبات، أو مصدر مِن المبنيّ / للمفعول وهو تَشقُّقها بالنبات لا بالعيون كما قيل، فإنّ وَصْف [٢٩٠و] السماء والأرض عند الإقسام بهما على حقّيّة القرآن الناطق بالبعث بما ذُكر مِن الوصفين للإيماء إلى أنّهما في أنفسهما مِن شواهده، وهو السرّ في التعبير عنه[٢] وعن المطر بالرَّجْع، وذلك في تشقُّق الأرض بالنبات المُحاكي للنشور، حسبما ذُكر في مواقعَ مِن التنزيل، لا في تشقُّقها بالعيون.

﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن الذي مِن جملته ما تُلي مِن الآيات الناطقة بمَبدأ حال الإنسان ومَعاده ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ أي: فاصل بين الحقّ والباطل مبالغ في ذلك كأنّه نفس الفَصْل.

﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ ليس في شيء منه شائبةُ هَزْل، بل كلّه جِدّ مَحضٌ لا هَوادَة فيه، فمِن حقّه أن يهتدي به الغُواة وتخضع له رِقابُ العُتاة.

---

[١] س + على.

[٢] وفي هامش م: بقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِۦ﴾. «منه».

﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: أهلَ مكّة ﴿يَكِيدُونَ﴾ في إبطال أمره وإطفاء نوره ﴿كَيْدًا﴾ حسبما يفي به قدرتهم.

﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أي: أقابلهم بكيد متينٍ لا يمكن ردُّه حيث أستدرجهم مِن حيث لا يعلمون.

﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: لا تشتغل بالانتقام منهم ولا تَدْعُ عليهم بالهلاك، أو لا تستعجل به. و"الفاء" لترتيب ما بعدها على ما قبلها، فإنّ الإخبار بتولّيه تعالى لكيدهم بالذات ممّا يوجب إمهالَهم وتركَ التصدّي لمُكايدتهم قطعًا. وقوله تعالى: ﴿أَمْهِلْهُمْ﴾ بدل مِن ﴿مَهِّلِ﴾. وقوله تعالى: ﴿رُوَيْدًا﴾ إمّا مصدر مؤكِّد لمعنى العامل، أو نعت لمصدره المحذوف، أي: أمهلهم إمهالًا رُوَيدًا، أي: قريبًا، كما قاله ابن عبّاس رضي الله عنهما،[1] أو قليلًا كما قاله قتادةُ.[2] قال أبو عبيدةَ:[3] هو في الأصل تصغير "رُودٍ" بالضمّ، وأنشدَ:

كأنّها ثَمِلٌ تمشي على رُودِ[4]

أي على مَهَل. وقيل: تصغير "إرْوَادٍ" مصدرِ "أَرْوَد" بالترخيم، وله في الاستعمال وجهان آخران: كونه اسمَ فعل نحو "رُوَيدَ زيدًا"، وكونه حالًا نحو "سار القوم رُوَيدًا"، أي: متمهِّلين.[5]

وفي إيراد البدل بصيغة لا تحتمل التكثير وتقييدِه بـ﴿رُوَيْدًا﴾ على أحد الوجهين المذكورين مِن تسلية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم / وتسكين قلبه ما لا يخفى. [٢٩٠ظ]

---

[1] انظر: جامع البيان للطبري، ٢٤/٣٠٧-٣٠٨.

[2] انظر: جامع البيان للطبري، ٢٤/٣٠٨.

[3] ليس الكلام في مجاز القرآن. والظاهر أنّه أبو عبيد، كما في مطبوع تفسير القرطبي، ٢٠/١١٢؛ واللباب لابن عادل، ٢٠/٢٧٠.

[4] م: رُودِ. | وهو سهو؛ لأنّه عجز بيت، أولّه:
تكاد لا تثلِم البطحاءَ وطأتُها
والبيت للهُذلي في أساس البلاغة للزمخشري، «رود»؛ وللجموح الظَّفري في لسان العرب لابن منظور، «رود»؛ وعجزه بلا عزو في الصحاح للجوهري، «رود»؛ وتفسير القرطبي، ٢٠/١١٢؛ واللباب لابن عادل، ٢٠/٢٧٠.

[5] الكلام بلفظ قريب في الغريبين للهروي، ٣/٧٩٠، وليس فيه الشِّعر المذكور؛ وهو عن أبي عُبيد مع الشِّعر في تفسير القرطبي، ٢٠/١١٢؛ واللباب لابن عادل، ٢٠/٢٧٠. ولفظ المصنِّف ههنا أقرب إلى عبارة اللباب.

وعنه عليه السلام: «مَن قرأ سورة الطارق أعطاه الله تعالى بعدد كلّ نجم في السماء عشر حسنات».[1]

---

[1] الكشف والبيان للثعلبي، ٢٩/١٩٦ (الطارق، ١/٨٦)؛ التفسير الوسيط للواحدي، ٤/٤٦٤ (الطارق، ١/٨٦)؛ الكشّاف للزمخشري، ٤/٥٥٣. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ١/٢٤٠.

٨٦

سُورَةُ الطَّارِقِ

مكية، سبعَ عشْرةَ آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿والسَّماءِ والطَّارِقِ﴾، أصلُه كُلُّ آتٍ ليلاً، ومنه النجوم لطُلوعها ليلاً ـ ٢ ـ ﴿وما أدراكَ﴾: أعلَمَك: ﴿ما الطَّارِقُ﴾؟ مُبتدأ وخبر، في محلّ المفعول الثاني لـ «أدرى». وما بعدَ «ما» الأُولى: خبرها، وفيه تعظيم لشأن الطارق المُفسَّر بما بعده. ٣ ـ هو ﴿النَّجمُ﴾ أي: الثُّريّا أو كُلّ نجم ﴿الثَّاقِبُ﴾: المضيء لثَقبه الظلامَ بضوئه ـ وجوابُ القسم: ٤ ـ ﴿إنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَا علَيها حافِظٌ﴾، بتخفيف «ما» فهي مزيدة، وإنْ: مُخفّفة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: إنّه، واللام: فارقة، وبتشديدها فإنْ: نافية، ولمّا: بمعنى إلّا.

سُورَةُ الطَّارِقِ

قولُهُ: (أَصلُهُ) أو هو في الأصلِ لسالِكِ الطَّريقِ، واختصَّ عُرفاً بالآتي ليلاً، ثمَّ استُعمِلَ في البادي فيه.

قولُهُ: (فِيهِ تَعظِيمٌ) حيثُ عبَّر عنه أوَّلاً بوصفٍ عامٍّ، ثمَّ فسَّرهُ بما يخصُّهُ.

قولُهُ: (أي: الثُّرَيَّا) أو زُحَلُ.

قولُهُ: (لثَقبِهِ) أي: كأنَّهُ يثقُبُهُ فينفُذُ فيه.

قولُهُ: (أي: إنَّهُ) أي: إنَّ الشَّأنَ.

قولُهُ: (وبتَشدِيدِهَا) شاميٌّ وعاصِمٌ وحمزَةُ[1].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٧٨).

والحافظ: من الملائكة يحفظ عملها من خير وشرّ.

٥ - ﴿فلْيَنظُرِ الإنسانُ﴾ نظرَ اعتبار: ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾: من أيّ شيء؟ جوابه: ٦ - ﴿خُلِقَ مِن ماءٍ دافِقٍ﴾: ذي اندفاق من الرجل والمرأة في رحمها، ٧ - ﴿يَخرُجُ مِن بَينِ الصُّلْبِ﴾ للرجل ﴿والتَّرائبِ﴾ للمرأة، وهي عِظام الصدر. ٨ - ﴿إنَّهُ﴾ تعالى ﴿على رَجعِهِ﴾: بعثِ الإنسان بعد موته ﴿لَقادِرٌ﴾ - فإذا اعتبر أصلَه عَلِمَ أنّ القادر على ذلك قادر على بعثه - ٩ - ﴿يومَ تُبلَى﴾: تُختبرُ وتُكشف ﴿السَّرائرُ﴾: ضمائر القُلوب في العقائد والنيّات، ١٠ - ﴿فما لَهُ﴾: لِمُنكرِ البعث ﴿مِن قُوّةٍ﴾ يمتنع بها عن العذاب ﴿ولا ناصِرٍ﴾ يدفعه عنه.

١١ - ﴿والسَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ﴾: المطرِ لعوده كُلَّ حين، ١٢ - ﴿والأرضِ ذاتِ الصَّدْعِ﴾: الشقّ عن النبات،..

قولُهُ: (منَ المَلائِكَةِ) وذكَرَ في «الكشاف»[1]: عن النَّبيِّ ﷺ: «وُكِّلَ بالمؤمنِ مائةٌ وستُّونَ مَلَكاً يذُبُّونَ عنهَ كما يُذَبُّ عن قصعَةِ العسَلِ الذُّبابُ، ولو وُكِلَ العبدُ إلى نفسِهِ طرفَةَ عينٍ لاختطَفَتهُ الشَّياطِينُ»[2]، وقيل: الحافظُ هو الرَّقيبُ عليها، وهو الله تعالى.

قولُهُ: (نَظَرَ اعتِبَارٍ) إلى مبدئِهِ لئلَّا ينسى نفسَهُ ويقيسَ عليهِ صحَّةَ إعادتِهِ، ويُملي على حافِظِهِ ما يسُرُّهُ في عاقبتِهِ.

قولُهُ: (ذِي اندِفَاقٍ) والدَّفقُ: صبٌّ فيه دَفعٌ.

قولُهُ: (منَ الرَّجُلِ) يعني: المرادُ: الممتَزِجُ من الماءَينِ في الرَّحِمِ.

قولُهُ: (في رَحمِهِا) مُتعلِّقٌ باندِفاق.

قولُهُ: (وتُكْشَف) ويُمَيِّزُ بين ما طابَ من الضَّمائرِ وما خفيَ من الأعمالِ وما خَبُثَ منها.

قولُهُ: (لِمُنكِرِ البَعثِ) أو للإنسانِ.

قولُهُ: (يَمتَنِعُ) أي: من مَنَعَةٍ في نفسِهِ.

قولُهُ: (يَدفَعُهُ) ويمنَعُهُ.

قولُهُ: (كُلَّ حِينٍ) أي: وَقتاً فوقتًا.

قولُهُ: (عَنِ النَّبَاتِ) أو عن العُيونِ.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٤/ ٧٣٤).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ١٦٧) (٧٧٠٤) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٩): فيه عفير بن معدان، وهو ضعيف.

١٣ ـ ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ يَفصِل بين الحقّ والباطل، ١٤ ـ ﴿وما هُوَ بِالهَزْلِ﴾: باللعب والباطل.

١٥ ـ ﴿إِنَّهُم﴾ أي: الكُفّارَ ﴿يَكِيدُونَ كَيدًا﴾: يَعملون المَكايدَ للنبيّ ﷺ ١٦ ـ ﴿وأكِيدُ كَيدًا﴾: أستدرجُهم من حيثُ لا يعلمون. ١٧ ـ ﴿فمَهِّلِ﴾ ـ يا مُحمّدُ ـ ﴿الكافِرينَ أمهِلْهُم﴾: تأكيدٌ، حسَّنَه مُخالفة اللفظ أي: أنظِرْهم ﴿رُوَيدًا﴾: قليلاً. وهو مصدرٌ مُؤكِّد لمعنى العامل، مُصغَّر رُودٍ، أو إرْوادٍ على الترخيم. وقد أخذهم الله ـ تعالى ـ ببدر. ونُسخ الإمهال بآية السيف بالأمر بالجهاد والقتال.

قولُهُ: (يَفصِلُ) أي: فاصِل، أو مُبالغَةٌ؛ كرجُلٍ عَدلٍ.

قولُهُ: (باللَّعِبِ والبَاطِلِ) فإنَّهُ جِدٌّ وحَقٌّ كلُّه.

قولُهُ: (للنَّبيِّ) أي: في إبطالِهِ وإطفاءِ نورِهِ.

قولُهُ: (يَا مُحَمَّدُ) أي: لا تستَعجِل بإهلاكِهِم أيُّها النبيُّ.

قولُهُ: (حَسَّنَهُ) أي: رَقّاهُ من مرتبَةِ الجَوازِ إلى مرتبَةِ الحُسنِ، أو زادَ في حسنِهِ؛ إذ لا قُبحَ في التَّأكيدِ باللَّفظِ الموافقِ، كما سَيأتي في: ﴿لِإِيلافِ﴾.

قولُهُ: (قَلِيلاً) أي: إمهالاً يَسيراً، والتَّكريرُ وتغييرُ البُنيَةِ لزيادَةِ التَّسكينِ.

قولُهُ: (عَلى التَّرخِيمِ) مُتعلِّقٌ بالأخيرِ؛ أي: على حَذفِ الزَّوائدِ.

قولُهُ: (ونُسِخَ الإمهَالُ) فيه أنَّ الإمهالَ المقيَّدَ بالقَليلِ ليسَ فيه نسخٌ، والله أعلمُ.

* * *

سُورَةُ الطَّارِقِ

مكيةٌ بلا خلافٍ، وهي سَبْعَ عَشْرَةَ آيةً على المشهور، وفي «التيسير»: ستَّ عشرة.

ولَمَّا ذكر سبحانه فيما قبلها تكذيبَ الكفار للقرآن نبَّه تعالى شأنه هنا على حقارة الإنسان، ثم استطرد جلَّ وعلا منه إلى وصف القرآن، ثم أمر سبحانه نبيَّه ﷺ بإمهال أولئك المكذِّبين، فقال عز قائلاً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ﴾ هي المعروفةُ على ما عليه الجمهور. وقيل: المطر هنا، وهو أحد استعمالاتها ومنه قوله:

إذا نزل السماء بأرض قومٍ رعيناه وإن كانوا غضابا[1]

ولا يَخْفَى حاله.

﴿وَالطَّارِقِ ①﴾ وهو في الأصل اسمُ فاعلٍ من الطَّرْقِ بمعنى الضَّرْبِ بوَقْعٍ وشدةٍ يُسمع لها صوتٌ، ومنه المِطْرَقةُ، والطريق لأنَّ السابلة تَطْرُقُها، ثم صار في عرف اللغة اسماً لسالك الطريق؛ لتصوُّرِ أنه يطرقها بقدمه، واشتهر فيه حتى صار حقيقةً، ثم اختصَّ بالآتي ليلاً؛ لأنه في الأكثر يجد الأبواب مغلقةً فيطرقها، ثم اتَّسع في كلِّ ما يظهر بالليل كائناً ما كان حتى الصور الخيالية البادية فيه، والعربُ تصفها بالطُّروق كما في قوله:

(١) سلف عند تفسير الآية (٥٢) من سورة هود.

طَرَقَ الخيالُ ولا كليلةِ مُدْلجٍ سَدِكاً بأَرْحُلنا ولم يتعرَّج[1]

والمراد به هاهنا عند الجمهور: الكوكبُ البادي بالليل، إمَّا على أنه اسمُ جنسٍ، أو كوكبٌ معهود كما ستَعْلَمه إن شاء الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢﴾ تنويهٌ بشأنه إثر تفخيمه بالإقسام، وتنبيهٌ على أن رِفْعةَ قَدْرِه بحيث لا ينالُها إدراكُ الخلق، فلا بدَّ من تلقِّيها من الخلَّاق العليم، فـ «ما» الأولى مبتدأ و«أدراك» خبرُه، و«ما» الثانية خبر، و«الطارق» مبتدأ على ما اختاره بعضُ المحقِّقين، أي: أيُّ شيءٍ أعلمك ما الطارق؟

وقوله سبحانه: ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ خبر مبتدأ محذوفٍ والجملةُ استئنافٌ وقع جواباً عن استفهام نشأ عما قبلُ، كأنه قيل: ما هو؟ فقيل: هو النجم.. إلخ.

و«الثاقب» في الأصل: الخارق، ثم صار بمعنى المضيء لتصوُّرِ أنه يثقبُ الظلامَ، وقد يُخصُّ بالنجوم والشهب لذلك وتَصَوُّرِ أنها ينفذ ضوؤُها في الأفلاك ونحوها.

وقال الفرَّاء: «الثاقب»: المرتفع، يقال: ثَقَبَ الطائر، أي: ارتفع وعلا[2].

والمراد بالنجم الثاقب الجنسُ عند الحسن؛ فإنَّ لكلِّ كوكبٍ ضوءاً ثاقباً لا محالة، وكذا كلُّ كوكبٍ مرتفعٍ، ولا يضرُّ التفاوتُ في ذلك.

وذهب غير واحدٍ إلى أنَّ المراد به معهودٌ، فعن ابن عباس أنه الجدي. وأخرج ابن جرير عن ابن زيد أنه الثريَّا[3]، وهو الذي تطلِقُ العرب عليه اسم النجم. وروي عنه أيضاً أنه زُحَلُ، وهو أبعد السيارات وأرفعُها، وما يثقبه ضوؤه من الأفلاك أكثرُ فيما يزعم المنجِّمون المتقدِّمون، وإنما قلنا: أبعد السيارات، لأنَّ الجدي والثريا عندهم أبعدُ منه بكثيرٍ، وكذا عند المحدَثين.

---

(١) البيت للحارث بن حِلِّزة اليَشْكري كما في المفضليات ص٢٥٥، وأمالي القالي ١/ ٢٠٥، واللآلي ١/ ٤٩٠، وفيه: المدلج: الذي أسرى الليل كلَّه. ولم يتعرَّج: لم يأخذ يمنة ولا يسرة. اهـ. وجاء في حاشية (م): سدكاً بفتح فكسر، أي: مولعاً. اهـ منه.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٥٤.

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٢٩٠.

وعن الفرَّاء أنه القمر؛ لأنه آيةُ الليل وأشدُّ الكواكب ضوءاً فيه، وهو زمانُ سلطانه. وأنت تعلم أنَّ إطلاق النجم عليه ولو موصوفاً غيرُ شائع.

وقيل: هو النجم الذي يقال له: كوكب الصبح.

وعن عليٍّ كرم الله تعالى وجهه: أنه نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيرُه، فإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها، ثم يرجع إلى مكانه من السماء السابعة، فهو طارقٌ حين ينزل وطارقٌ حين يصعد(١).

ولا يخفى أنَّ المعروف أنَّ الذي يسكن السماء السابعة ـ أعني الفلكَ السابعَ وحده ـ هو زُحَلُ، فيكون ذلك قولاً بأنَّ «النجم الثاقب» هو، لكنْ لا يُعرف له نزولٌ ولا صعودٌ بالمعنى المتبادر، وأيضاً لا يُعقل له نزولٌ إلى حيث تكون النجوم ـ أعني الثوابت ـ لأنَّ المعروف عندهم أنها في الفلك الثامن، ويجوز عقلاً أن يكون بعضها في أفلاكٍ فوق ذلك، بل نصَّ المحدَثون لِما قام عندهم على تفاوُتها في الارتفاع، ولم يشكُّوا في أنَّ كثيراً منها أبعدُ من زحل بعداً عظيماً، وإذا اعتبرت الظواهر وقلنا بأنها في السماء الدنيا وإن تفاوتت في الارتفاع، فذلك أيضاً مِمَّا يأباه أنَّ النجوم قد تأخذ أمكنتها من السماء وليس معها زحل، وبالجملة ما يعكِّر على هذا الخبر كثيرٌ، وكونُه كرم الله تعالى وجهه أراد كوكباً آخر هذا شأنُه لا يخفى حالُه، والذي يقتضيه الإنصافُ وتَرْكُ التعصُّبِ أنَّ الخبر مكذوبٌ على الأمير رضي الله عنه وكرم وجهه.

وجوِّز على إرادة الجنس أن يراد به جنسُ الشهب التي يُرْجَم بها، وليس بذاك، وما روي أنَّ أبا طالب كان عند رسول الله ﷺ فانحطَّ نجمٌ فامتلأ ما ثَمَّ نوراً، ففزع أبو طالب فقال: أيُّ شيء هذا، فقال عليه الصلاة والسلام: «هذا نجمٌ رُمي به، وهو آيةٌ من آيات الله تعالى» فعجب أبو طالبٍ، فنزلت(٢) = لا يقتضي ذلك على ما لا يَخْفَى.

---

(١) ذكره عن علي رضي الله عنه القرطبي ٢٢/ ٢٠١، وأبو حيان ٨/ ٤٥٤، وعنه نقل المصنف. وذكره الثعلبي في تفسيره ١٠/ ١٧٨، وابن الجوزي في زاد المسير ٩/ ٨١، والقرطبي ٢٢/ ٢٠١ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكره البغوي ٤/ ٤٧٢ عن الكلبي، وهو دون نسبة في تفسير الثعلبي ١٠/ ١٧٧، وأسباب النزول للواحدي ص٤٨٤، والكشاف ٤/ ٢٤١.

وزعم ابنُ عطيَّةَ أنَّ المراد بالطارق جميعُ ما يطرقُ من الأمور والمخلوقات[١]، فيعمُّ النجمَ الثاقب وغيره، ويكون معنى «وما أدراك» إلخ: وما أدراك[٢] ما الطارق حقَّ الطارق، بأن تكون «أل» في «ما الطارق» مثلَها في: أنت الرجل. وما أدري ما الطارقُ على هذا الرجل حتى ركب هذا الطريقَ الوَعْرَ في التفسير.

وفي إيراد ذلك عند الإقسام به بوصفٍ مشترك بينه وبين غيره، ثم الإشارة إلى أنَّ ذلك الوصفَ غيرُ كاشفٍ عن كُنْهِ أمره، وأنَّ ذلك مِمَّا لا يبلغه أفكار الخلائق، ثم تفسيره بالنجم الثاقب = من تفخيم شأنه وإجلال محلِّه ما لا يَخْفَى على ذي نظرٍ ثاقبٍ، ولإرادةِ ذلك لم يقل ابتداءً: والنجم الثاقب، مع أنه أَخْصَرُ وأظهرُ؛ ولله عز وجل أن يفخِّم شأنَ ما شاء مِن خَلْقِه لِما شاء.

ولا دلالةَ فيه هاهنا على شيءٍ مما يزعمه المنجمون في أمر النجوم زُحَلَ وغيره من التأثير في سعادةٍ أو شقاوةٍ أو نحوِهما.

وجواب القسم قولُه تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾ وما بينهما اعتراضٌ جيء به لِما ذُكر من تأكيدِ فخامة المقسَم به المستتبع لتأكيدِ مضمون الجملة المقسَم عليها.

وقيل: جوابه قولُه سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ [الآية: ٨] وما في البين اعتراضٌ. وهو كما ترى.

و«إنْ» نافية، و«لَمَّا» بمعنى إلا، ومجيئها كذلك لغةٌ مشهورةٌ ـ كما نقل أبو حيان عن الأخفش ـ في هذيل وغيرهم؛ يقولون: أقسمتُ عليك أو سألتُك لَمَّا فعلْتَ كذا، يريدون: إلا فعلتَ[٣]. وبهذا ردٌّ على الجوهريِّ المنكِرِ لذلك[٤].

وقال الرضيُّ: لا تجيءُ إلا بعد نفيٍ ظاهرٍ أو مقدَّرٍ، ولا تكون إلا في المفرَّغ، أي: بخلافِ «إلا».

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٤.
(٢) قوله: إلخ وما أدراك، ساقط من (م).
(٣) البحر ٨/ ٤٥٤.
(٤) ذكره عن الجوهري الشهاب في الحاشية ٨/ ٣٤٦.

و«كل» لتأكيد العموم؛ لتحقُّق أصله من وقوع النكرة في سياق النفي، وهو مبتدأ، والخبرُ على المشهور «حافظ»، و«عليها» متعلِّقٌ به، وعلى ما سمعتَ عن الرضي محذوفٌ، أي: ما كلُّ نفسٍ كائنةٌ في حالٍ من الأحوال إلا في حالِ أنْ يكون عليها حافظ، أي: مهيمنٌ ورقيب، وهو الله عز وجل كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ [الأحزاب: ٥٢]:

إذا ما خلوتَ الدهرَ يوماً فلا تقلْ خلوتُ ولكنْ قل عليَّ رقيبُ

وقيل: هو مَن يحفظ عملها من الملائكة عليهم السلام، ويحصي عليها ما تكسبُ من خيرٍ أو شرٍّ، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ﴾ الآية [الانفطار: ١٠-١١] وروي ذلك عن ابن سيرين وقتادةَ وغيرهما، وخصَّصوا النفس بالمكلَّفة.

وقيل: هو مَن وُكِّلَ على حفظها والذبِّ عنها من الملائكة، كما في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ١١] وعن أبي أُمامة عن النبيِّ ﷺ قال: «وكِّلَ بالمؤمن مئةٌ وستُّونَ مَلَكاً يذبُّون عنه كما يُذَبُّ عن قصعة العسل الذبابُ، ولو وُكِلَ العبد إلى نفسه طرفةَ عينٍ لاختطفته الشياطين»[1].

وقيل: هو العقلُ يُرْشِدُ المرءَ إلى مصالحه، ويكفُّه عن مَضارِّه.

وقرأ الأكثر: «لَمَا» بالتخفيف[2]، فعند الكوفيين «إنْ» نافيةٌ كما سبق، واللام بمعنى «إلا»، و«ما» زائدة، وصرَّحوا هنا بأنَّ «كل» و«حافظ» مبتدأ وخبر، فلا تغفل.

وعند البصريين «إنْ» مخفَّفة من الثقيلة، و«كل» مبتدأ، و«ما» زائدة، واللامُ هي الداخلة للفرق بين «إنْ» النافية و«إن» المخفَّفة، و«حافظ» خبر المبتدأ، و«عليها»

(١) أخرجه بنحوه الطبراني في الكبير (٧٧٠٤)، وفي إسناده عفير بن معدان، وهو ضعيف كما ذكر الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف ص١٨٣.
(٢) التيسير ص٢٢١، والنشر ٢/ ٢٩١، وقرأ بالتشديد ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر.

متعلِّقٌ به. وقدِّر لـ «إنْ» ضميرُ الشأن، وتعقِّب بأنه لا حاجة إليه؛ لأنه في غير المفتوحة ضعيفٌ لعدم العمل، مع أنه مخلٌّ بإدخال اللام الفارقة؛ لأنه إذا كان الخبر جملةً فالأولى إدخالُ اللام على الجزء الأول كما صرَّح به في «التسهيل»[(١)]، وإدخالُها على الجزء الثاني كما صرح به بعض الأفاضل في حواشيه عليه. ولعل مَن قال: أي: إن الشأن كلُّ نفسٍ لعليها حافظ، لم يُرِدْ تقديرَ الضمير، وإنما أراد بيانَ حاصل المعنى.

وحكى هارون أنه قرئ: «إنَّ» بالتشديد، و«كلَّ» بالنصب، و«لمَا» بالتخفيف، فاللامُ هي الداخلة في خبر «إنَّ» و«ما» زائدة[(٢)].

وعلى جميع القراءات أمرُ الجوابية ظاهرٌ لوجود ما يتلقَّى به القسم، وتلقِّيه بالمشدَّدة مشهورٌ، وبالمخفَّفة ﴿تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات: ٥٦] وبالنافية ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ [فاطر: ٤١].

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾ متفرِّعٌ على ما قبله وليست الفاء بفصيحةٍ ـ خلافاً للطيبي ـ إذ لا يُحتاج إلى حذفٍ في استقامة الكلام:

أما على تقديرِ أن يكون الحافظ هو الله عز وجل أو المَلَكُ الذي وكَّله تعالى شأنُه للحفظ على الوجه الذي سمعتَ، فلأنَّه لَمَّا أثبت سبحانه أنَّ عليه رقيباً منه تعالى حثَّه على النظر المعرِّف لذلك مع أوصافه، كأنه قيل: فليَعْرِفِ المهيمنَ عليه بنصبه الرقيبَ أو بنفسه، ولْيَعلمْ رجوعَه إليه تعالى، ولْيَفعَلْ ما يُسَرُّ به حال الرجوع، وعبَّر عن الأول بقوله تعالى: (فَلْيَنظُرِ) ليبيِّن طريق المعرفة، فهو بسطٌ فيه إيجازٌ وأُدمج فيه الأخيران.

وأمَّا على تقدير أن يكون المراد به العقلَ، فلأنه لَمَّا أثبت سبحانه أنَّ له عقلاً يرشدُ إلى المصالح، ويكفُّ عن المضارِّ، حثَّه على استعماله فيما ينفعه، وعدم تعطيله وإلغائه، كأنه قيل: فلينظر بعقله وليتفكَّر به في مبدأ خَلْقِه حتى يتَّضح له قدرةُ

---

(١) ص٦٣.

(٢) البحر ٨/ ٤٥٤.

واهبه، وأنه إذا قدر على إنشائه من موادَّ لم تَشُمَّ رائحةَ الحياة قطُّ، فهو سبحانه على إعادته أَقْدَرُ وأقدرُ، فيعمل بما يُسَرُّ به حين الإعادة. وقد يقرَّرُ التفريعُ على جميع الأوجُه بنحوٍ واحدٍ، فتأمل.

و«ممَّ خُلِق» استفهامٌ، و«من» متعلِّقةٌ بـ «خُلق»، والجملةُ في موضع نصب بـ «ينظر»، وهي معلَّقةٌ بالاستفهام.

وقوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾ استئنافٌ وقع جواباً عن استفهامٍ مقدَّرٍ، كأنه قيل: ممَّ خُلِق؟ فقيل «خُلق من ماء» إلخ، وظاهرُ كلام بعض الأجلة أنه جوابُ الاستفهام المذكور مع تعلُّقِ الجارِّ بـ «ينظر»، وفيه مسامحةٌ، وكأن المراد أنه على صورة الجواب، وجَعْلُه جواباً له حقيقة على أنه مقطوعٌ عن «ينظر» ليس بشيء عند مَن له نظر.

والدَّفْقُ: صبٌّ فيه دفعٌ وسَيَلانٌ بسرعة، وأريد بـ «الماء الدافق»: المنيُّ. و«دافق» قيل: بمعنى مدفوق على تأويل اسم الفاعل بالمفعول، وقد قرأ بذلك زيد بن عليٍّ رضي الله عنهما[1].

وقال الخليل وسيبويه[2]: هو على النسب كلابِنٍ وتامرٍ، أي: ذي دَفْقٍ، وهو صادقٌ على الفاعل والمفعول.

وقيل: هو اسم فاعلٍ، وإسناده إلى الماء مجازٌ، وأسند إليه ما لصاحبه مبالغةً، أو هو استعارةٌ مَكنيةٌ وتخييليةٌ كما ذهب إليه السكاكي[3]، أو مصرِّحةٌ بجَعْلِه دافقاً؛ لأنه لتتابع قطراته كأنه يدفق، أي: يدفع بعضُه بعضاً.

وقد فسَّر ابن عطية الدفق بالدفع فقال: الدفقُ دفعُ الماء بعضه ببعض، يقال: تدفَّق الوادي والسيل: إذا جاء يركب بعضُه بعضاً، ويصحُّ أن يكون الماء دافقاً؛ لأن بعضه يدفع بعضاً، فمنه دافق ومنه مدفوق[4].

---

(١) البحر ٨/ ٤٥٥.

(٢) كما في البحر ٨/ ٤٥٥، وينظر الكتاب ٣/ ٣٨١.

(٣) كما في حاشية الشهاب ٨/ ٣٤٧.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٥.

وتعقَّبه أبو حيان بأنَّ الدَّفْقَ بمعنى الدفع غيرُ محفوظٍ في اللغة؛ بل المحفوظُ أنه الصبُّ[1].

ونُقِلَ عن الليث أنَّ دَفَقَ بمعنى انْصَبَّ بمرَّةٍ، فـ «دافق» بمعنى منصبٌّ، فلا حاجة إلى التأويل. وتعقِّب بأنه مِمَّا تفرَّد به الليث كما في «القاموس»[2] وغيره.

وقيل: «من ماء» ـ مع أنَّ الإنسان لا يُخْلَقُ إلَّا من ماءين: ماءِ الرجل وماءِ المرأة، ولذا كان خَلْقُ عيسى عليه السلام خارقاً للعادة ـ لأنَّ المراد به الممتزجُ من الماءين في الرحم، وبالامتزاج صارا ماءً واحداً. ووَصْفُه بالدفق؛ قيل: باعتبار أحد جزئيه وهو منيُّ الرجل. وقيل: باعتبار كليهما، ومنيُّ المرأة دافقٌ أيضاً إلى الرَّحم.

ويشير إلى إرادةِ الممتزج ـ على ما قيل ـ قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ أي: من بين أجزاء صُلْبِ كلِّ رجلٍ، أي: ظهرِه ﴿وَالتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ أي: ومن بين ترائب كلِّ امرأةٍ، أي: عظام صدرها، جمع تَرِيْبَة. وفسِّرت أيضاً بموضع القلادة من الصدر، وروي عن ابن عباس، وهو لكلِّ امرأةٍ واحدٌ إلا أنه يجمعُ كما في قول امرئ القيس:

مُهَفْهَفةٌ بيضاءُ غيرُ مُفاضَةٍ ترائبُها مصقولةٌ كالسَّجَنْجَلِ

باعتبارِ ما حوله على ما في «البحر»[3].

وجاء في المفرد تَرِيْبٌ كما في قول المثقَّب العبدي:

ومن ذهبٍ يَبِيْنُ على تَرِيْبٍ كلَوْنِ العاجِ ليس بذي غُضونِ[4]

(١) البحر ٨/ ٤٥٥.
(٢) مادة (دفق).
(٣) ٨/ ٤٥٣، والبيت في ديوان امرئ القيس ص١٥. المهفهفة: الحسَنَة الخَلْق، ولا تكون مهفهفةً حتى تكون مع حُسْن خَلْقِها ضامرة الخاصرة. والمفاضة: المسترخية البطن. والسجنجل: المرآة، وقيل: الفضة. شرح المعلقات للنحاس ١/ ٢٣.
(٤) المفضليات ص٢٨٩، وتهذيب اللغة ١٤/ ٢٧٥، ومنتهى الطلب من أشعار العرب ٤/ ١٦، والبحر ٨/ ٤٥٣، وجاء في المصادر عدا البحر: يلوح، بدل: يبين.

وحملُ الآية على ما ذكر مرويٌّ عن سفيان وقتادةَ، إلا أنهما قالا: أي: يخرج من بين صُلْبِ الرجل وترائبِ المرأة. وظاهرُه كالآية أنَّ أحد الطرفين للبينية الصُّلبُ، والآخَر الترائبُ، وهو غيرُ ما قلناه، وعليه قيل: هو كقولك: يخرج من بين زيد وعمرو خيرٌ كثيرٌ، على معنى أنهما سببان فيه. وقيل: إنَّ ذلك باعتبارِ أنَّ الرجل والمرأة يصيران كالشيء الواحد، فكأنَّ الصلب والترائب لشخصٍ واحدٍ، فلا تَغْفَلْ.

ثم إنَّ ما تقدَّم مبنيٌّ إما على أنَّ الترائب مخصوصةٌ بالمرأة كما هو ظاهرُ كلام غيرِ واحدٍ، وإما على حَمْلِ تعريفها على العهد. وقال الحسن ـ وروي عن قتادة أيضاً ـ: إنَّ المعنى: يخرج من بين صلب كلِّ واحدٍ من الرجل والمرأة، وترائبِ كلٍّ منهما. ولم يفسِّر الترائب؛ فقيل: عظام الصدر. وقيل: ما بين الثديين. وقيل: ما بين المنكبين والصدر. وقيل: التراقي. وقيل: أربع أضلاعٍ من يَمْنَةِ الصدر، وأربعٌ من يَسْرَتِه. وعن ابن جبير: الأضلاع التي هي أسفلُ الصلب. وحَكَى مكِّي عن ابن عباس[1] أنها أطرافُ المرء: رجلاه ويداه وعيناه. والأشهر أنها عظامُ الصدر وموضعُ القِلَادةِ منه.

وطَعَنَ في ذلك ـ على ما قال الإمام[2] ـ بعضُ الملاحدة خَذَلهم الله تعالى بأنَّ المنيَّ إنما يتولَّد من فضلة الهضم الرابع[3]، وينفصل من جميع أجزاء البدن، فيأخذ من كلِّ عضوٍ طبيعةً وخاصِّيةً مستعدًّا[4] لأنْ يتولَّدَ منه مثلُ تلك الأعضاء، وإن كان

(١) كما في البحر ٨/ ٤٥٥، وأخرجه الطبري ٢٤/ ٢٩٥.

(٢) في تفسيره ٣١/ ١٣٠-١٣١.

(٣) إشارة إلى ما كان سائداً أن الغذاء ينهضم أولاً في الفم بالمضغ، وثانياً في المعدة بطبخها له بالحرارة الطبيعية الموقدة في مطبخها، ثم تجذب صفوته بعروق متصلة بها إلى الكبد فتهضمه هضماً ثالثاً، ثم إلى الأعضاء جميعها فينهضم فيها هضماً رابعاً بعده لتنمية الأعضاء وبقائها، وما زاد على ذلك ينفصل عن جميع الأعضاء إلى مقر المني بعد أن أَوْدَع فيه خلَّاق القُوى القُدَر ما يستعد به للتوليد والتخلُّق. ينظر حاشية الشهاب ٨/ ٣٤٧.

(٤) العبارة في تفسير الرازي: فيأخذ من كلِّ عضو طبيعته وخاصيته فيصير مستعدًّا، وهي أنسب بالسياق.

المراد أنَّ معظم أجزاء المنيِّ تتولَّد في ذينك الموضعين فهو ضعيفٌ؛ لأنَّ معظمه إنما يتولَّد في الدماغ، ألا ترى أنه في صورته يشبه الدماغ، والمكثِرُ منه يَظْهَرُ الضعفُ أوّلاً في دماغه وعينيه، وإن كان المراد أنَّ مستقره هناك فهو ضعيفٌ أيضاً؛ لأنَّ مستقرَّه عروقٌ يلتفُّ بعضُها بالبعض عند البيضتين وتسمَّى أوعيةَ المنيِّ، وإن كان المراد أنَّ مخرجه هناك فهو أيضاً كذلك؛ لأنَّ الحسَّ يدلُّ على خلافه.

وأجاب رحمه الله تعالى بأنه لا شكَّ أنَّ أعظم الأعضاء معونةً في توليد المنيِّ الدماغُ، وخليفتُه النخاع[1] في الصلب، وشُعَبٌ نازلةٌ إلى مقدَّمِ البدن وهي التريبة، فلذا خُصَّا بالذكر، على أنَّ كلامهم في أمر المنيِّ وتولُّدِه محضُ الوهم والظنِّ الضعيفِ، وكلامُ الله تعالى المجيد لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، فهو المقبول والمعوَّلُ عليه. اهـ.

وفي «الكشف»: أقول: النخاع بين الصُّلب والترائب، ولا يحتاج إلى تخصيص التريبة بالنساء، فقد يمنع الشُّعَبُ النازلة، على أنَّ تلك الشُّعَبَ إن كانت فهي أعصابٌ[2] لا ذاتُ تجاويفَ. والوجه والله تعالى أعلمُ أنَّ النخاع والقُوى الدماغيةَ والقلبيةَ والكبديةَ كلها تتعاون في إبراز ذلك الفضل على ما هو عليه قابلاً لأنْ يصيرَ مبدأ الشخص على ما بيِّن في موضعه، وقولُه سبحانه: ﴿مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ عبارةٌ مختصرةٌ جامعةٌ لتأثير الأعضاء الثلاثة، فالترائب يشملُ القلبَ والكبد، وشمولُها للقلب أظهرُ، والصُّلبُ النخاعُ، ويتوسَّطُه الدماغ، ولعله لا يحتاج إلى التنبيه على مكان الكبد لظهور ذلك؛ لأنه دمٌ نضيجٌ، وإنما احتيج إلى ما خَفِيَ وهو أمرُ الدماغ والقلب[3] في تكوُّن ذلك الماء، فنبَّه على مكانهما. وقيل: ابتداءُ الخروج منه كما أنَّ انتهاءه بالإحليل. انتهى.

---

(١) أي: قائم مقامه في كل ما يكون، قال الشهاب في الحاشية ٨/ ٣٤٧: والنخاع مثلث النون: خيطٌ أبيضُ في جوف عظم الرقبة ممتدٌّ إلى الصلب، ويتشعب منه شعب كثيرة إلى الأضلاع وينزل إلى الترائب.

(٢) في هامش الأصل و(م): فيه أنه لا يضر كونها أعصاباً كما لا يخفى. اهـ منه.

(٣) كذا في الأصل و(م)، وفي حاشية الشهاب ٨/ ٣٤٨: الدماغ والصلب.

وقيل: لو جُعِلَ ما بين الصُّلْبِ والترائب كنايةً عن البدن كلِّه لم يَبْعُدْ، وكان تخصيصُهما بالذكر لِما أنهما كالوعاء للقلب الذي هو المضغةُ العظمى فيه، وأمرُ هذه الكناية على ما حَكَى مكِّي عن ابن عباس في الترائب أظهرُ.

وزعم بعضُهم جواز كون «الصلب والترائب» للرجل، أي: يخرج من بين صلبِ كلِّ رجلٍ وترائبه، فالمراد بالماء الدافق: ماءُ الرجل فقط، وجَعَلَ الكلام إمَّا على التغليب أو على أنه لا ماءَ للمرأة أصلاً فضلاً عن الماء الدافق كما قيل به. ولا يخفى ما فيه، والقولُ بأنَّ المرأة لا ماء لها تكذِّبُه الشريعة وغيرُها.

وقرأ ابن أبي عبلة وابن مقسم: «يُخْرَجُ» مبنيًّا للمفعول، وهما وأهلُ مكة وعيسى: «الصُّلُب» بضم الصاد واللام، واليمانيُّ بفتحهما[1]، وروي على اللغتين قولُ العجَّاج:

رَيَّا العظامِ فخمةُ المخدَّمِ ... في صَلَبٍ مثلِ العنانِ المؤدَمِ[2]

وفيه لغةٌ رابعةٌ وهي صالب، كما في قول العباس:

تُنْقَلُ من صالبٍ إلى رَحِمٍ[3]

وهي قليلة الاستعمال.

واستشهد بعض الأجلَّة بقوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ على أن الإنسان هو الهيكل المخصوصُ كما ذهب إليه جمهورُ المتكلِّمين النافين للنفس الناطقة

---

(١) تنظر هذه القراءات في القراءات الشاذة ص١٧١، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٦٥، والكشاف ٤/ ٢٤١، والبحر ٨/ ٤٥٥.

(٢) ديوان العجاج ص٢٨١، والثاني في الكشاف ٤/ ٢٤١، والبحر ٨/ ٤٥٥. ورواية الديوان: فَعْمة المخدَّم، قال شارح الديوان الفَعْم: الممتلئ، والمخدَّم: موضع الخِدام، وهو الخلخال. وقال السيرافي في شرح أبيات إصلاح المنطق ص١٢٣: ريَّا: ليست بمهزولةٍ تَبِينُ عظامها، وصلبها مثل العنان نعمةً واستواء. والعنان المؤدم: الذي لم تُقْشَر أَدَمتُه، فهو ألين له. وقوله: في صَلَبٍ، أي: مع صلب. وقال الزمخشري في الأساس (عنن): امرأة معنَّنة، أي: مَجْدولةٌ جَدْلَ العنان.

(٣) وعجزه: إذا مَضَى عالَمٌ بدا طَبَقُ، وسلف ص٤٠٨ من هذا الجزء.

الإنسانية المجرَّدة التي ليست داخلَ البدن ولا خارجَه، وقال: إنه شاهدٌ قويٌّ على ذلك، وتأويلُه بأنه على حذف المضاف ـ أي: خُلق بدن الإنسان ـ لا يُسمعُ ما لم يقم برهانٌ على امتناع ظاهره. انتهى، وأنت تعلم أن القائلين بالنفس الناطقة المجرَّدة قد أقاموا فيما عندهم براهينَ على إثباتها، نعم إنَّ فيها أبحاثاً للنافين، وتحقيق ذلك بما لا مزيد عليه في كتاب «الروح» للعلَّامة ابن القيم عليه الرحمة[1].

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾ الضميرُ الأول للخالق تعالى شأنُه، وكما فخَّم أولاً بترك الفاعل في قوله تعالى: (مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ) إذ لا يُذهب إلى خالقٍ سواه عز وجل، فخَّم بالإضمار ثانياً، والضمير الثاني للإنسان، أي: إنَّ ذلك الذي خلقه ابتداءً مما ذكر على إعادته بعد موته لبيِّنُ القدرة، وهذا كما في قوله:

لئن كان يُهْدَي بَرْدُ أنيابها العُلَى لأَفْقَرَ منِّي إنَّني لفقيرُ[2]

فإنه أراد: لَبيِّن الفقر، وإلَّا لم يصحَّ إيراده في مقابلةِ: لأفقر منِّي، والتأكيدُ البالغ لفظاً لِما قام عليه البرهان الواضح معنًى، ولذا فسَّر «قادر» هنا بـ : بيِّن القدرة كما في «الكشاف»، واعتَبَر فيه أيضاً الاختصاص فقال: أي: على إعادته خصوصاً[3]. وكأنَّ ذلك لأنَّ الغرض المسوقَ له الكلامُ ذلك، فكأنَّ ما سواه مطَّرَحٌ بالنسبة إليه، وحينئذٍ يراد ما ذكر جعل الجارّ من صلة «لقادر» أو مدلولاً على موصوله به، على المذهبين، وفَصْلُ الجملة عمَّا سبق لكونه جوابَ الاستفهام دونها.

وقال مجاهد وعكرمة: الضمير الثاني للماء، أي: إنه تعالى على ردِّ الماء في الإحليل أو في الصُّلْب لقادرٌ. وليس بشيء. ومثلُه كونُ المعنى على تقدير كونه

---

(١) ينظر المسألة الخامسة من كتاب الروح ص ٤٩ وما بعدها.

(٢) البيت لقيس بن الملوح كما في ديوانه ص١٤٠، والأغاني ٢/ ٤٧، وورد أيضاً في ديوان ابن الدمينة ص ٤٩، ونسب لمزاحم بن أبي الأزهر كما في الأغاني ١٩/ ١٠٤، وهو في ديوان المعاني ١/ ٢٠٦، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣/ ١٣٠٥، والتذكرة السعدية ص٣٠٢ غير منسوب. قال المرزوقي: قوله: أنيابها العلى، يراد به: الشريفة العالية الشأن، ويجوز أن يراد بالعُلى العالي من الأسنان لأنها موضع القُبَل، ويعني ببرد الأسنان عذوبة الرضاب عند المذاق. اهـ.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٤١.

للإنسان: إنه عز وجل على ردِّه من الكبر إلى الشباب لقادر، كما روي عن الضحاك، وما ذكرناه أولاً مرويٌّ عن ابن عباس.

﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝﴾ أي: يُتَعرَّفُ ويُتَصَفَّحُ ما أُسِرَّ في القلوب من العقائد والنيات وغيرها، وما أُخفي من الأعمال، ويميَّز بين ما طاب منها وما خَبُثَ. وأصل الابتلاء: الاختبار، وإطلاقه على ما ذكر إطلاقٌ على اللازم.

وحَمْلُ السرائر على العموم هو الظاهر، وأخرج ابن المنذر عن عطاء ويحيى بن أبي كثير أنها الصومُ والصلاةُ والغُسْلُ من الجنابة(١). وأخرج البيهقي في «الشعب» عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «ضمَّنَ الله تعالى خَلْقَه أربعاً: الصلاةَ والزكاةَ وصومَ رمضان والغُسْلَ من الجنابة، وهنَّ السرائر التي قال الله تعالى: (يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ)(٢). وفي «البحر»(٣) ضم التوحيد إليها. ولعل المراد بيانُ عظيمها على سبيل المبالغة لا حقيقةُ الحصر. وسَمِعَ الحسن مَن ينشد قولَ الأحوص:

سيَبْقَى لها في مضمَرِ القلب والحشا ... سريرةُ ودٍّ يوم تُبْلَى السرائرُ

فقال: ما أَغْفَلَه عمَّا في «السماء والطارق»(٤). وكأنه حمل البقاء فيه على عدم التعرُّف أصلاً، فليفهم.

و«يوم» عند جمعٍ من الحذَّاق ظرفٌ لمحذوفٍ يدلُّ عليه «رَجْعِه» أي: يَرْجِعُه يوم.. إلخ، وقال الزمخشريُّ وجماعةٌ: ظرفٌ لـ «رَجْعِه»(٥). واعتُرِضَ بأنَّ فيه فصلاً بين المصدر ومعموله بأجنبيٍّ. وأُجيب تارةً بأنه جائزٌ لتوسُّعهم في الظروف، وأخرى بأنَّ الفاصل هنا غيرُ أجنبيٍّ؛ لأنه إما تفسيرٌ أو عاملٌ، على المذهبين.

وقال عصام الدِّين: إنَّ الفصل بهذا الأجنبيِّ كَلَا فَصْلٍ؛ لأنَّ المعمول في نية التقديم عليه، وإنما أُخِّر لرعاية الفاصلة. وفيه ما لا يخفى.

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٣٣٦.
(٢) شعب الإيمان (٢٧٥١)، وأخرجه أيضاً الواحدي في الوسيط ٤/ ٤٦٦.
(٣) ٨/ ٤٥٦.
(٤) الكشاف ٤/ ٢٤١، والبحر ٨/ ٢٥٦، والبيت في ديوان الأحوص ص٨٤، والخزانة ٢/ ١٨.
(٥) الكشاف ٢/ ٢٤١.

وقيل: ظرفٌ لـ «ناصر» بعدُ. وتعقَّبه أبو حيان بأنه فاسدٌ؛ لأنَّ ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها، وكذلك «ما» النافية على المشهور المنصور[1].

وقيل: معمول لاذكُرْ محذوفاً. وهو كما ترى، ويتعيَّن هو أو ما قبله على رأي مجاهد وعكرمةَ ورأي الضحاك السابقين آنفاً.

وجوَّز الطبرسيُّ تعلُّقه بـ «قادر»[2]، ولم يعلِّقه جمهور المُعْرِبين به لأنه يوهمُ اختصاصَ قدرته عز وجل بيومٍ دون يومٍ كما قال غيرُ واحدٍ. وقال ابن عطية: فرُّوا من أن يكون العامل «لقادر» للزومِ تخصيص القدرة في ذلك اليوم وحده، وإذا تؤمِّل المعنى وما يقتضيه فصيحُ كلام العرب، جاز أن يكون العاملَ، وذلك أنه تعالى قال: ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ على الإطلاق أولاً وآخِراً وفي كلِّ وقتٍ، ثم ذكر سبحانه من الأوقات الوقتَ الأعظم على الكفار؛ لأنه وقتُ الجزاء والوصولِ إلى العذاب، ليجتمع الناس على حذره والخوف منه[3]. انتهى، وهو على ما فيه لا يدفعُ الإيهام.

﴿فَمَا لَهُۥ﴾ أي: الإنسان ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ في نفسه يمتنعُ بها ﴿وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾ ينتصر به.

﴿وَالسَّمَآءِ﴾ وهي المُظِلَّة في قول الجمهور ﴿ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾﴾ أي: المطر في قولهم أيضاً، كما في قول الخنساء:

يومَ الوداع ترى دموعاً جاريةْ كالرَّجْع في المُدْجِنَةِ الساريةْ[4]

وأصلُه مصدر رَجَع المتعدِّي، واللازمِ أيضاً في قول، ومصدرُه الخاصُّ به الرجوع، سمَّوا به المطر كما سمَّوه بالأَوْبِ مصدر آبَ، ومنه قولُه:

---

(١) البحر ٨/ ٤٥٥.
(٢) مجمع البيان ٣٠/ ٩٩.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٦.
(٤) ديوان الخنساء ص١٤٧، وعجزه في الكشاف ٤/ ٢٤٢. وصدره في الديوان: عطَّافُه أبيض ذو رونق. والمدجنة: سحابة لها ظلام؛ لكثافتها وقُرْبها من الأرض، يقال: هذا يوم دَجْنٍ، أي: يوم إلباس غيم، والدُّجُنَّة: الظلمة. والسارية: التي تسري ليلاً. ينظر شرح الحماسة للمرزوقي ١/ ٣٤٢.

رَبَّـاءُ شَـمـاءَ لا يـأوي لـقُـلَّـتـهـا إلَّا السحـابُ وإلَّا الأَوْبُ والسَّبَلُ[(١)]

أو المراد به فيه النَّحْلُ[(٢)].

لأنَّ الله تعالى يَرْجِعُه[(٣)] حيناً فحيناً. وقال الحسن: لأنه يرجع بالرزق كلَّ عام. أو أرادوا بذلك التفاؤل ليرجع، أو لأنَّ السحاب يحمله من بحار الأرض ثم يَرْجِعه إلى الأرض، وبَنَى هذا غيرُ واحدٍ على الزَّعْم[(٤)]، وفيه بحثٌ.

وعن ابن عباس ومجاهدٍ تفسيرُ «السماء» بالسحاب و«الرَّجْع» بالمطر.

وقال ابن زيد: «السماء» هي المعروفة، و«الرَّجْع» رجوعُ الشمس والقمر والكواكب من حالٍ إلى حالٍ، ومن منزلة إلى منزلةٍ فيها.

وقيل: رجوعُها نفسُها[(٥)]؛ فإنها ترجع في كلِّ دورةٍ إلى الموضع الذي تتحرَّك منه. وهذا مبنيٌّ على أنَّ السماء والفلكَ واحدٌ، فهي تتحرَّكُ ويصير أَوْجُهَا حضيضاً وحضيضُها أَوْجاً. وقد سمعتَ فيما تقدَّم أنَّ ظاهر كلام السلف أنَّ السماء غيرُ الفلك، وأنها لا تدورُ ولا تتحرَّك، والذي ذُكر رأيُ الفلاسفة ومَن تابعهم.

وقيل: «الرَّجع» الملائكة عليهم السلام سُمُّوا بذلك لرجوعهم بأعمال العباد.

﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾﴾ هو ما تتصدَّع عنه الأرض من النبات، وأصله الشقُّ،

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٤١، والبيت للمتنخل الهذلي من قصيدة في رثاء ابنه، وهو في ديوان الهذليين ٢/ ٣٧. قوله: ربَّاء، هو صيغة مبالغة من ربأت الجبل: إذا صعدته، فيكون ربَّاء شمَّاءَ كقولهم: طلَّاعُ أَنْجُدٍ، وهو مضاف إلى شماء، والمعنى: ربَّاءُ هضبةٍ شمَّاءَ. وقوله: لا يدنو لقُلَّتها، أي: لرأسها، أي: لا يعلو هذه الهضبة من طولها إلا السحاب. والسَّبَل: المطر النازل. ينظر الخزانة ٥/ ٣-٦.

(٢) قوله: أو المراد به فيه النحل، الضمير في «به» عائد على الأوب، والضمير في «فيه» عائد على البيت، والمعنى: أو المراد بالأوب في البيت النحل.

(٣) قوله: لأن الله تعالى يرجعه، متعلق بقوله: سمَّوا به المطر، أي: سموا المطر بالرجع لأن الله يرجعه... إلخ.

(٤) يشير إلى قول الزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٤٢، وأبي السعود في تفسيره ٩/ ١٤٢: وذلك أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض... إلخ.

(٥) أي: السماء، كما في تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب ٨/ ٣٤٨.

سُمِّي به النبات مجازاً، أو هو مصدرٌ من المبنيِّ للمفعول، فالمراد تشقُّقها بالنبات، ورُوي ذلك عن عطية وابن زيد. وقيل: تشقُّقُها بالعيون. وتُعقِّب بأنَّ وصفَ السماء والأرض عند الإقسام بهما على حقِّية القرآن الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للإيماء إلى أنَّهما في أنفسهما من شواهده، وهو السرُّ في التعبير عن المطر بالرجْع، وذلك في تشقُّق الأرض بالنبات المحاكي للنشور حسبما ذُكر في مواضع من التنزيل، لا في تشقُّقها بالعيون.

ويُعلم منه ما في تفسير الرجع بغير المطر، وكذا ما في قول مجاهد: الصدعُ: ما في الأرض من شقاقٍ وأوديةٍ وخنادقَ وتشقُّقٍ بحرثٍ وغيره. وما رُوي عنه أيضاً: الصدعُ: الطرقُ تَصدَعها المُشاةُ.

وقيل: ذاتِ الأموات؛ لانصداعها عنهم للنشور.

﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن الذي من جملته هذه الآياتُ الناطقة بمبدأ حال الإنسان ومعاده، وهو أولى من جَعْل الضمير راجعاً لِما تقدَّم، أي: ما أخبرتُكم به من قدرتي على إحيائكم. لأنَّ القرآن يتناول ذلك تناوُلاً أوليًّا، وقولُه تعالى: ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾﴾ أنسبُ به، والمراد: لقولٌ فاصلٌ بين الحقِّ والباطل قد بلغ الغايةَ في ذلك حتى كأنه نفسُ الفصل.

وقيل: مقابلةُ الفصل بالهزل بعدُ يستدعي أن يفسَّر بالقطع، أي: قولٌ مقطوعٌ به. والأول أحسن.

﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ أي: ليس في شيء منه شائبةُ هزلٍ، بل كلُّه جدٌّ محضٌ، فمِن حقِّه أن يهتدي به الغواةُ وتخضع له رقابُ العُتاة، وفي حديثٍ أخرجه الترمذيُّ والدارميُّ وابن الأنباري عن الحارث الأعور عن عليٍّ كرم الله تعالى وجهه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنها ستكون فتنةٌ» قلت: فما المخرجُ منها يا رسول الله؟ قال: «كتابُ الله، فيه نبأُ مَن قبلكم، وخبرُ ما بعدكم، وحُكمُ ما بينكم، هو الفصلُ ليس بالهزل، مَن تركه مِن جَبَّارٍ قَصَمه الله، ومَن ابتغى الهُدَى في غيره أضلَّه الله، وهو حبلُ الله المتين، وهو الذكرُ الحكيم، وهو الصراطُ

المستقيم، هو الذي لا تَزيغ فيه الأهواء، ولا تشبع منه العلماء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يخلَق عن الردِّ، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجنُّ لَمَّا سمعَتْه عن أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ [الجن: ١-٢] من قال به صدق، ومَن حكم به عَدَل، ومَن عمل به أُجِر، ومَن هَدَى به هَدَى إلى صراطٍ مستقيم»[1].

وفي هذا من الردِّ على الذين نبذوه وراءَ ظهورهم ما فيه.

﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: كفارُ مكة ﴿يَكِيدُونَ﴾ يعملون المكايد في إبطال أمره وإطفاء نوره، أو في إبطال أمر الله تعالى وإطفاء نور الحقِّ. والأول أتمُّ انتظاماً، وهذا ـ قيل ـ أملأُ فائدةً.

﴿كَيْدًا ۝١٥﴾ أي: عظيماً حسبما تفي به قدرتُهم. والجملةُ تحتمل أن تكون استئنافاً بيانيًّا، كأنه قيل: إذا كان حال القرآن ما ذُكر فما حالُ هؤلاء الذين يقولون فيه ما يقولون؟ فقيل: إنهم يكيدون كيداً.

﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦﴾ أي: أقابلهم بكيدٍ متينٍ لا يمكن ردُّه حيث أستَدرِجُهم من حيث لا يعلمون. أو: أقابلهم بكيدي في إعلاء أمره وإكثار نوره من حيث لا يحتسبون. والفصل لهذا، وقيل: لئلا يُتوَهَّمَ عطفُها على جواب القسم مع أنها غيرُ مقسَمٍ عليها.

﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فلا تشتَغِل بالانتقام منهم ولا تَدعُ عليهم بالهلاك، أو تأنَّ وانتظرِ الانتقامَ منهم ولا تستعجل، والفاءُ لترتيب ما بعدها على ما قبلها، فإنَّ الإخبارَ بتَوَلِّيه تعالى لكَيدهم بالذات، وعدم إهمالهم، مما يُوجِبُ إمهالهم وتَرْكَ التصدِّي لمكايدتهم قَطْعاً، وَوَضْعُ الظاهر موضِعَ الضمير لِذَمِّهم بأبي الخبائث وأمها. وقيل: للإشعار بعِلَّة ما تضمَّنه الكلامُ من الوعيد.

---

(١) سنن الترمذي (٢٩٠٦)، وسنن الدارمي ٢/ ٧١٠. وعزاه لابن الأنباري وغيره السيوطيُّ في الدر ٦/ ٣٣٧. وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلّا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال. اهـ.

وقوله تعالى: ﴿أَمْهِلْهُمْ﴾ بدلٌ من «مَهِّل» على ما صَرَّح به في «الإرشاد»[١].

وقوله سبحانه: ﴿رُوَيْدًا ۝١٧﴾ إما مصدرٌ مؤكِّدٌ لمعنى العامل، أو نعتٌ لمصدره المحذوف، أي: أمهلهم إمهالاً رويداً، أي: قريباً كما أخرج ابن المنذر وابن جرير عن ابن عباس[٢]. أو قليلاً كما روي عن قتادة.

وأخرج ابن المنذر عن السدي أنه قال: أي: أمهلهم حتى آمرَ بالقتال[٣]. ولعلَّهُ المراد بالإمهال القريب أو القليل.

واختار بعضُهم أن يكونَ المرادُ: إلى يوم القيامة؛ لأنَّ ما وقع بعد الأمر بالقتال ـ كالذي وقع يومَ بدرٍ وفي سائر الغزوات ـ لم يَعُمَّ الكلَّ، وما يكونُ يومَ القيامة يَعُمُّهم، والتقريبُ باعتبار أنَّ كلَّ آتٍ قريب، وعلى هذا النحو التقليل، على أنَّ مَنْ مات فقد قامتْ قيامتُهُ.

والظاهر ما قال السُّدِّيُّ، وقد عَرَاهم بعد الأمر بالقتال ما عَرَاهم، وعدمُ العموم الحقيقيِّ لا يضرُّ.

وهو في الأصل على ما قال أبو عبيدة تصغيرُ «رُوْد» بالضَّمِّ، وأنشد:

كأنها ثَمِلٌ يمشي على رُوْدِ[٤]

أي: على مهلٍ.

وقال أبو حيان وجماعةٌ: تصغير إرواد مصدر أَرْوَدَ يُرْوِدُ بالترخيم[٥]. وهو تصغيرُ تحقيرٍ وتقليلٍ.

---

(١) إرشاد العقل السليم ٩/ ١٤٢.

(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٣٠٧، والدر المنثور ٦/ ٣٣٧.

(٣) الدر المنثور ٦/ ٣٣٧.

(٤) عجز بيت للجَموح الظفري، وصدره: تكاد لا تثلم البطحاء وطأتها، وهو في الصحاح (رود)، واللسان (رود)، وذكره ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص٢٢٣ برواية:

كأنها مثل مَن يمشي على رُود

(٥) البحر المحيط ٨/ ٤٥٣، وتصحف «أرود» في (م) إلى: رواد.

وله في الاستعمال وجهان آخران: كونه اسم فعل نحو: رويداً زيداً[١]، أي: أمهله، وكونه حالاً نحو: سار القومُ رويداً، أي: متمهِّلين غير مستعجلين.

ولم يذكرْ أحدٌ احتمالَ كونه اسمَ فعلٍ هنا، وصرح ابن الشيخ بعدم جريانه، وعلَّل ذلك بأنَّ الأوامرَ كلَّها بمعنى، فكأنه قيل: أَمهلِ الكافرين أمهلهم أمهلهم، وفائدةُ التأكيد تحصلُ بالثاني، فيلغو الثالث.

وفي التعليل نظرٌ، فقد يُسلكُ في التأكيد بألفاظ متَّحدةٍ لفظاً ومعنًى نحوُ ذلك، ففي الحديث: «أيما امرأةٍ أنكحت نفسها بدون وليٍّ، فنكاحها باطلٌ باطلٌ باطلٌ»[٢] ولا فرقَ بين الجمل والمفردات، نعم هو خلافُ الظاهر جدًّا. وجوَّزَ رحمه الله كونه حالاً، أي: أمهلهم غيرَ مستعجلٍ، والظاهرُ أنه حالٌ مؤكِّدةٌ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠] فلا تغفل، وهو أيضاً بعيدٌ.

وظاهر كلام أبي حيان وغيره أنَّ الأمرَ الثاني توكيدٌ للأول، قالوا: والمخالفة بين اللفظين في البنية لزيادة تسكينه ﷺ وتصبيره عليه الصلاة والسلام[٣]، وإنما دلَّت على[٤] الزيادة من حيث الإشعارُ بالتغاير، كأنَّ كلًّا كلامٌ مستقلٌّ بالأمر بالتأني، فهو أَوكدُ من مجرد التكرار.

وقرأ ابن عباس: «مَهِّلْهُمْ» بفتح الميم وشَدِّ الهاء[٥] موافقةً للفظ الأمر الأول.

---

(١) في (م): زيد.

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٢٠٥) والترمذي (١١٠٢) ـ وحسَّنه ـ من حديث عائشة ﵂.

(٣) ينظر البحر ٨/ ٤٥٦، والكشاف ٤/ ٢٤٢، وتفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب ٨/ ٣٤٨.

(٤) قوله: على، ساقط من (م).

(٥) البحر المحيط ٨/ ٤٥٦.

(سورة الطارق)

(مكيّة) وهي سبع عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ عظم قدر السماء في أعين الخلق لكونها معدن رزقهم ومسكن ملائكته، وفيها خلق الجنّة فأقسم بها وبالطارق والمراد جنس النجوم، أو جنس الشهب التي يرجم لها لعظم منفعتها، ثم فسّره بالنجم الثاقب أي المُضيء كأنه (يثقب الظلام) بضوئه فينفذ فيه، ووصف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الطارق، مكية) أي بالاتفاق وهي سبع عشرة آية وفي التيسير ست عشرة واثنتان وسبعون كلمة ومائتان وإحدى وسبعون حرفًا. اهـ خطيب. وفي الخازن وإحدى وستون كلمة ومائتان وتسعة وثلاثون حرفًا.

قوله: (يثقب الظلام) يقال: ثقبه يثقبه ثقبًا أي جعل فيه منفذًا ومسلكًا ونفذ فيه، والظلام بفتح الظاء في لسان العرب الظلماء الظلمة وربما وصف بها فيقال: ليلة ظلماء أي مظلمة والظلام اسم يجمع ذلك كالسواد ولا يجمع يجري مجرى المصدر كما لا يجمع نظائره نحو السواد والبياض ويجمع الظلمة ظُلْمًا وظلمات. وقيل: الظلام أول الليل. اهـ باختصار.

بالطارق لأنه يبدو بالليل كما يقال للآتي ليلًا طارق، أو لأنه يطرق الجني أي **(يصكه)**.

وجواب القسم ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ لأن ﴿لَّمَّا﴾ إن كانت مشدّدة بمعنى «إلا» كقراءة عاصم وحمزة وابن عامر فتكون «إن» نافية أي ما كل نفس إلا عليها حافظ، وإن كانت مخفّفة كقراءة غيرهم فتكون «إن» مخفّفة من الثقيلة أي إن كل نفس لعليها حافظ يحفظها من الآفات، أو يحفظ عملها ورزقها وأجلها، فإذا استوفى ذلك مات. وقيل: هو كاتب الأعمال فـ «ما» زائدة واللام فارقة بين الثقيلة والخفيفة، و﴿حَافِظٌ﴾ مبتدأ و﴿عَلَيْهَا﴾ الخبر، والجملة خبر ﴿كُلُّ﴾ **(وأيتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم)**.

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾﴾ لما ذكر أن على كل نفس حافظًا أمره بالنظر في أول أمره ليعلم أن مَن أنشأه قادر على إعادته وجزائه فيعمل ليوم الجزاء **(ولا يملي)** على حافظه إلا ما يسرّه في عاقبته. و﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ استفهام أي من أي شيء خلق جوابه.

﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾﴾ والدفْق: صبّ **(فيه دفع)**. والدفق في الحقيقة لصاحبه والإسناد إلى الماء مجاز. وعن بعض أهل اللغة: دفقت الماء دفقًا: صببته ودفق الماء بنفسه أي انصب. ولم يقل ما ماءين لامتزاجهما في الرحم واتحادهما حين ابتدىء في خلقه ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾﴾ من صلب الرجل وترائب

قوله: (يصكه) أي يضربه. **قوله: (وأيتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم)** لأن القسم كما يتلقى بأن المؤكّدة يتلقى بأن النافية كثيرًا كما قرر في النحو.

قوله: (ولا يملي) في مختار الصحاح أمْلى الكتاب وأملّه لغتان جيدتان جاء بهما القرآن، قلت: أراد به قوله تعالى: ﴿فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ [الفرقان: الآية ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٢]. اهـ.

قوله: (فيه دفع) أي دفع من صلب الرجل أو لتتابع قطراته. اهـ قنوي.

المرأة وهي عظام الصدر حيث تكون (**القلادة. وقيل: العظم والعصب من الرجل واللّحم والدم من المرأة**) ﴿إِنَّهُۥ﴾ إن الخالق لدلالة خلق عليه ومعناه إن الذي خلق الإنسان ابتداء من نطفة ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِۦ﴾ على إعادته خصوصًا ﴿لَقَادِرٌ﴾ لبيّن القدرة لا يعجز عنه كقوله: إنني لفقير أي لبيّن الفقر.

﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾

ونصب ﴿يَوْمَ تُبْلَى﴾ أي تكشف برجعه أو بمضمر دلّ عليه قوله: ﴿رَجْعِهِۦ﴾ أي يبعثه يوم تبلىٰ ﴿ٱلسَّرَآئِرُ﴾ ما أسرّ في القلوب من العقائد والنيّات وما أخفى من الأعمال ﴿فَمَا لَهُۥ﴾ فما للإنسان ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ في نفسه على دفع ما حلّ به ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ يعينه ويدفع عنه. ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾﴾ أي المطر وسمىٰ به لعوده كل حين ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾﴾ هو ما تتصدع عنه الأرض (**من النبات**) ﴿إِنَّهُۥ﴾ إن القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فُرْقان ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ باللعب والباطل (**يعني أنه جِدٌّ كله**) ومن حقّه، وقد وصفه الله بذلك أن يكون

قوله: (**القلادة**) في مختار الصحاح القلادة التي في العنق. **قوله**: (**وقيل: العَظم والعَصب من الرجل واللحم والدم من المرأة**) في الدرّ المنثور أخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن الأعمش قال: يخلق العظام والعصب من ماء الرجل ويخلق اللحم والدم من ماء المرأة. اهـ بحروفه.

قوله: (**من النبات**) بيان ما في قوله: ما تتصدع عنه الأرض فعلى هذا يكون المراد بـ ﴿ٱلصَّدْعِ﴾ نبات الأرض سُمِّيَ به لكونه صادعًا للأرض والأرض تتصدع به ولما لم يتأت خروجه من الأرض إلا بصدعه إياها جعل كأنه نفس الصدع فسمي به فأصل فالمصدر بمعنى الفاعل وهو أحسن من كونه بمعنى المفعول. **قوله**: (**يعني أنه جدٌّ كله**) أي أنزل كله على سبيل الجد والاهتمام به، يطلب بذكره وإنزاله فائدة مضبوطة كالامتثال بأمره والاجتناب عن نهيه، وكذا وعده ووعيده والقصص والتمثيلات فإن كلها ذكر مرادًا به معناه والفائدة المطلوبة منه ولا شيء ذكر فيه غير مراد معناه وما يترتب عليه وهو المراد بالهزل والجد ضده. **قوله**: (**مهيبًا**) في

(مهيبًا) في الصدور معظمًا في القلوب، يرتفع به قارئه وسامعه أن (يلم) بهزل أو (يتفكه) بمزاح ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني مشركي مكة ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ يعملون المكايد في إبطال أمر الله وإطفاء نور الحق ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ وأجازيهم جزاء كيدهم باستدراجي لهم من حيث لا يعلمون فسمي جزاء الكيد كيدًا كما سُمِيَ جزاء الاعتداء والسيئة اعتداء وسيئة وإن لم يكن اعتداء وسيئة، ولا يجوز إطلاق هذا الوصف على الله تعالى إلا على وجه الجزاء كقوله: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ٦٧]، ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: الآية ١٤٢]، ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: الآية ١٥]، ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾ أي لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به ﴿أَمْهِلْهُمْ﴾ أنظرهم فكرّر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين والتصبير (﴿رُوَيْدًا﴾) مهلًا يسيرًا (ولا يتكلم بها إلا مصغرة وهي من رادت الريح ترود رودًا تحركت حركة ضعيفة).

المصباح هابه يهابه من باب تعب هيبة حذره. قال ابن فارس: الهيبة الإجلال، فالفاعل هائب والمفعول هيوب ومهيب أيضًا. اهـ. **قوله:** (يلم) أي ينزل. **قوله:** (يتفكّه) في المصباح تفكّه بالشيء تمتع به. اهـ.

قوله: (﴿رُوَيْدًا﴾) مهلًا يسيرًا في لسان العرب الرُّوَد والرُّوُد المُهْلَة في الشيء، وقالوا: رويدًا أي مهلًا. اهـ. في تفسير أبي السعود رويدًا إما مصدر مؤكد بمعنى الفاعل أو نعت لمصدره المحذوف أي أمهلهم إمهالًا رويدًا أي قريبًا، كما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أو قليلًا كما قاله قتادة. اهـ. **قوله:** (ولا يتكلم بها إلا مصغرة) في تفسير أبي السعود قال أبو عبيدة هو في الأصل تصغير رود بالضم وأنشد كأنه ثمل(١) يمشي على رود: أي على مهل. وقيل: تصغير أرواد مصدرًا لِرَوَدَ بالترخيم(٢). اهـ. وفي القنوي فيكون تصغير رود بضم الراء والتصغير للتقليل وهو يستلزم اليسير. اهـ. **قوله:** (وهي من رادت الريح ترود رودًا تحركت حركة ضعيفة) في لسان العرب رادت الريح ترود رودًا ورُؤُدًا ورَوَدَانًا حالت وفي التهذيب تحركت ونسمت نسمانًا إذا تحركت تحركًا خفيفًا. اهـ.

تمّت سورة الطارق حامدًا لله ومُصليًا ومُسلّمًا

على أفضل رسله الكرام وعلى آله وصحبه العظام على توالي الليالي والأيام

---

(١) الثمل محركة السُكر ثمل كفرح فهو ثَمِل. اهـ. قاموس ١٢ منه رحمه الله.

(٢) قوله: بالترخيم أي بطرح جميع الزوائد ١٢ منه رحمه الله.